صاحبها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش
MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق ـ ص.ب (٢٥٧٠) هاتف ٣٦٢٩١

العدد الحادي عشر
تموز
١٩٦٤
السنة الخامسة

كلمة لنا

بقلم : رئيس التحرير

... وبعد انقطاع طويل ، شاءته ظروف لاحول لنا فيها ولا طول، نعود اليوم ونحن اعمق ايمانا برسالتنا، واقوى عزيمة ، واشد ساعداً ، على المضي في دعم الحركة الأدبية والفكرية في هذا البلد الحبيب ، وحمل هذه الرسالة الى كل بلد عربي .

وما كانت الصعاب ـ على اختلافها .. والعقبات ـ على تعددها ـ لتثنينا عن متابعة السير في دروب كفاحنا ، ومجالات نضالنا ، ولا سلاح لنا في ذلك كله الا اخلاصنا لقضية الأدب والفكر ، ووفاء تلك الفئة الكريمة العاملة بصناعة الحرف المقدس ، ذلك الوفاء الصادق الذي جعلها تقف الى جانب هذه المجلة ـ في ايام العسر واليسر ـ موقف الصديق ، الوفي ، المناصر .

وهناك فئة اخرى ـ من مسؤولين وغير مسؤولين ـ كانت ـ وما زالت ـ سنداً لنا في قضيتنا ، وعزاءً في محنتنا ، لانها تؤمن بنبل اهدافنا ، وصدق مقاصدنا ، ومدى تجردنا عن الغايات والاغراض .

واننا تجاه مواقف الفئات النبيلة منا ، لنجد انفسنا تتسع ، وتتعالى ، .. فتتسامح وتصفح عن «الآخرين» وتهبهم للكرامة ، و ... الاخلاق .

التحليل الأدبي والتحليل النفسي

بقلم: الدكتور زكي المحاسني

ترى ، هل تزدحم على خاطري معاني التحليل كلها ، فكأن بين يدي المعجم من معاجم لغتنا ، يتناولها بما عرفه العرب من معنى قوله حلله اتخذه حلالا ، وحال المرأة تزوج المطلقة ثلاثا ليحلل للزوج الاول .

أما التحليل الذي يعني تفريق الشيء وارجاعه الى عناصره الاولى ، كما يجري في العقاقير ، فأمر لا تقول به اللغة في مظانها الاولى ، وهو من كلام أهل العصر . ومن ههنا دخلت هذه الكلمة في الدراسات الادبية والفكرية .

على أن نطاق العلم في المختبرات يقر بأن التحليل أمر عسر ، ومتى وصل اليه صانعه صعب عليه اعادته الى ما كان عليه ، فاذا حلل ذو الكيمياء في بواتيقه وأنابيقه مادة من المواد تفرقت أجزاؤها المركبة لها ، وكان عليه عسيرا اعادتها بما اعتراها من التبديل والتغيير في تكوينها الاصلي .

ومن المختبرات العلمية استعار مؤلفو الادب الحديث في الغرب ثم في الشرق هذا التعبير ، وهو التحليل ، ليطبقوا مياسمه على القطع الادبية في مقولات المنثور والمنظوم ومقاطيع الخطابة ودنيا القصة والرواية وسائر الاعمال الادبية والفكرية .

وقد رحت أسائل نفسي :

ـ أفلا يتسرب الفساد الى القطعة الادبية حين نعرضها على التحليل ، ثم هل نستطيع بعد تحليها الى عناصرها الاولى أن نقوم بتركيبها ؟

واعترتني خاطرة مازحة تصورت على وهمها مايصنع أساتيذ الجراحة من أجل تلاميذهم ، حين يجزؤون الاوصال ، ويقطعون كل وريد وشريان ، ويهتكون الاعصاب ، ويهشمون العظم ويعرقون عنه اللحم وصولا الى التحليل . أفيكون بعدئذ بمقدورهم أن يقوموا بعمل التركيب ؟ ولعمري لو قدروا لاعادوا الروح الفائتة ، ولكان « بروميتوس » من تلاميذهم وأندادهم ! وهو الذي تروي أساطير الاغريق أنه أبدع الانسان على الارض وكان قد نهاه عن خلقه وتكوينه رب الارباب « نرفس » فلما صنع ذلك أمر به فشد بالأغلال الى قنة من قنن جبل « الاولمب » وسخر به النسر « فولكان » لكي ينقر كبده بمنقاره الناري حتى الموت ، جزاء ماصنعت يداه في ايجاد الانسان ، اذ كان رب الارباب يريد ان تبقى الدنيا بغير هذا المخلوق العجاب الذي ملأها بنفسه ، وشغلها بفعله واقتداره. على أن ماكان يشغل ذهني، وأنا صغير ، صورة الدنيا وهي فارغة من الانسان ، حين يشاء لها ، أن تفرد خالق العالم به وحده ، بعد يوم القيامة .

وبعد الانسحاب وراء هذه الصور المتتابعة التي لا يستطيع المرء ان ينجو منها مهما يحصر فكره ويأسر خواطره ، أرى أن أعود الى التحليل ، وأريد أن أشعر أنني معاصر في الفكر والحس ، فاذا كان الادب الذي مارسته حينا من العمر يشدني الى جوار المتنبي والجاحظ وابي العلاء المعري فانه طالما جاء بي الى يدي شوقي ومطران وولي الدين يكن .

وما اجد في الدرس والتحصيل وفي ممارسة العلم والادب أبعد من المعاصر الذي يعيش في القرون

السوابق . فللعصر الذي نعيش فيه حق علينا أن نحيا في ظلاله ، وأن نتسم بطوابعه لكننا وان كنا نغالي بالحفاظ على لغتنا وتعابيرها الصحيحة ونتحوط من الشوائب تعتريها فتكدر صفاءها . وتضع القذى في كؤوسها ، فاننا قد نسيغ كلاما معاصرا نغني به لغتنا مثل كلمة « التحليل » التي تبجحت بجلستها في الدراسات النفسية والفلسفية ، نشحر لها المحلل الاكبر « فرويد » وأشاع في كتبه المكاشف عن الحياة الغريزية الانسانية ففضح المشاعر وتغلغل الى نطاق النفوس العميقة ، وهتك سر العواطف ، ورد أعمال الانسان الى منابت من الطبيعة الجنسية .

وأعجب ما أحاوله في التحليل الادبي ، أن أعالج أشعاراً ، ولتكون من ديوان أبي الطيب المتنبي ، وهو يصف سرايا سيف الدولة ، وقد سار في مقدمة جيشه فركب في جمع من الفرسان على جانبيه ، فقال فيه شاعره الاعظم :

يهز الجيش حولك جانبيه
كما هزت جناحيها العقاب

وخيلا تغتذي ريح الموامي
ويكفيها من الماء السراب

فمن أين أبدأ في تحليل هذه الصورة الى الوانها الاصلية ، كما يحلل العالم اللون الابيض بمنظاره والكاشف الى ألوان الصيف جميعا وهي سبعة ، أولها الاحمر وآخرها الازرق فالاصفر . وكم يغنيني عن التحليل أن أعرب عن الصورة في خاطري كما أراها في لوح الخيال الذهني وهذا اللوح الالهي ضرب من ضروب « التلفزيون » أبدعه الخلاق في أذهاننا منذ أحسسنا بوجودنا على الارض وتمتعنا بنعمة الحياة والمجيء الى الدنيا . ان صفحة التلفزيون الداخلي في رؤوسنا صفحة كبيرة تكاد تكون بسعتها تسد الآفاق ! فأنا على شاشتها — كما يقولون في مصطلح وجهها الذي تشاهد عليه الصور — أرى جيش سيف الدولة متراوحا عن جانبيه وكم أجد المتنبي لبقا في تسريب تعابير الحرب خلال كلامه . إذ كان يعرف أن للجيش قلبا وجناحين ، فأبرز الصورة بجناحي العقاب والجيش اذا كثر وازدحم ، قال فيه العرب ، رأينا سواد الجيش فكأنه من شدة الكثافة وقلة تمييز اللون قد اندمج بالسواد يجلله . فكان جناحا العقاب سوداوين من غير أن يذكر المتنبي اللون الاسود .

وأما الخيل الظوامىء فقد فتحت أفواهها لتغترف هواء الصحراء الرطب الندي تكتفي به عن الغذاء ، وأما ماؤها فيظل متنائيا عنها وهي تندفع كالتيار راكضة نحوه فلا تصل اليه ، اذ تكتفي منه بالامل والنظر ..

ولست أحسب كلامي هذا تحليلا أدبيا . إذن ماهو التحليل الادبي ؟ هل هو تقطيع الجمل والمعاني وتجزئة الافكار والصور ثم لم شعثها المهتك لابراز صورة جاء بها المتنبي بعد أن دخلت أفكاره ومعانيه وتعابيره الى مختبر علمي .

ما كان أغنى الادب عن مياسم العلم ، وكم رحت أتمنى لو استطيع انكار التحليل الادبي ، على صورة من هذه الصور .

لكني أنكر التحليل النفسي لان النفس المعقدة حين تعمد الى تحليلها لا توقع بها ضررا . وتبقى كما هي دون أن يمسها منا أذى . إلا اذا طبقنا عليها تجاريب علم النفس وأدخلنا تلك النفوس باصحابها

في مختبره . فالقينا عليها الاضواء ، وأزعجناهـا عن راحتها بتجارب الوحي والايحاء ، ولسعات الكهرباء ووسوسات الدواليب. وربما خلصت من هذه الافكار الى الاستفادة من علم النفس في الادب نفسه ، فان قصورنا عنه وتقصيرنا فيه ، يخفف الدراسة الادبية وكم يندبها أن تتغلغل الى نفوس الشعراء والكتاب ، لنرى الاسباب التي صدرت عنها خواطرهم وروائعهم، فالحب والبغضاء والهوى والغرام والحرب والانتقام والكيد والمطامع ، والشهوات وأسراب الفضائل التي لبست المسوح أو الشفوف .. كل ذلك روافد للدراسات الادبية حين ندركها لدى المؤلفين والموهوبين ، فبمصباح من علم النفس أدخل ظلمات الحياة الادبية لدى أهليها وأتبين على الضوء السحري ما وراء الجسوم من عوالم النفوس ، وبكلمة ختامية اذا شئنا حياة منعشة للدراسة الادبية المعاصرة فلنعتمد على علم النفس وحده ، فان التحليل الادبي يرد الآثار الادبية الى معامل العلم فتفقد فيها روحها الفنية وأصالتها التصويرية التي ترتسم في الخواطر الانسانية، وتشعر الاديب أنه في مهب نسيم الربيع لا في لوافح النار بمخبر العلماء .

الدكتور زكي المحاسني



اعـلان

تعلن أمانة جمرك دمشق الكائنة في المنطقة الحرة بأنها ستطرح للبيع في المزاد العلني اعتبارا من يوم السبت ١١/٧/١٩٦٤ الساعة العاشرة صباحا كميات من البضائع التاليه :

سيارات ـ أقمشة ـ خزفية ـ بطاريات ـ ماكينات بأنواعها ـ قطع تبديل سيارات ـ وبضائع أخرى كثيرة .

علما أن البضاعة المباعة والخاضعة لتأشير من الدوائر الاخرى لايمكن تسليمها قبل الحصول على موافقة هذه الدوائر .

فعلى الراغبين في الشراء الحضور الى أمانة جمرك دمشق بالتاريخ والساعة المحددة أعلاه وفي الايام التالية للاشتراك في المزاودة . مع العلم ان البضائع تباع خالصة من الرسوم الجمركية فقط ، اما الرسوم الاخرى فتستوفى من المشتري مباشرة .

دمشق في ٧/٦/١٩٦٤

أمين جمارك دمشق

مكاريوس ورد

إليها..

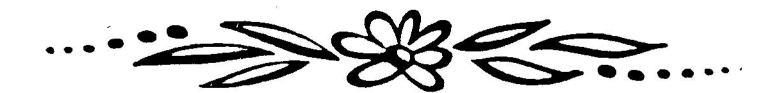
شعر:

أبو سالم

هــل أبصر النور إذا قلبي لــم يحتــرقِ
وهــل تضيء أحرفي وهــل يضيء أفقي
والنجم لولا مقلتــاك رنتــا لــم يخفق
ولا أطــلَّ الفجر في موكبــه ، مــن مشرق
والزهر لولاك تمــرين بــه لــم يعبق

★ ★ ★

أبعــد مــا علمتني معنى الجــوى والأرق
وبعــد مــا دمعي روى شعري فوق الورق
وبعــد مــا ذقت الهوى نحيــا على مفترق
ما هــذه الدنيا وما الشعر إذا لــم نَعْشَقِ
قولي بمــن أودع في عَيْنَيك سِرَّ الغَسَقِ
هــل تجملُ الحيــاة والعمرُ إذا لــم نلتقِ



العرب.. وراحاب

شعر: حامد حسن

وتسألين: هل أذنب التاريخ ؟؟

مهداة الى التاريخ .. الى الاستاذ جبرائيل سعادة

كتابُك .. إن شيئاً في كتابك غيرُ منظورِ
أكاد أضمُّه ... أشتمُّه، خلفَ التعابيرِ
أجوز به مدى آفا ق أوهامي، وتفكيري
فما أندى عشيّاتي وما أحلى مشاويري

★ ★ ★

هنا في الشّرق !! هل في الشّرقِ شيءٌ غيرُ مسحورِ؟
على شطٍّ مديدٍ، حالـمِ الأنغامِ، مخمورِ
ظليلٍ بالسّنى، بالظّلِّ، بالجنّاتِ، بالحورِ
بلادُ الشّعرِ، والهيفِ الغريراتِ، المعاطيرِ
ذرتها «شهرزاد» على وثيراتِ المقاصيرِ

★ ★ ★

وفي شُطآننا تغفو أساطيرُ الأساطيرِ!!
فكم دهرٍ على شُطآننا، في الرّملِ، مقبورِ ؟؟
ولما أثمرَ التّاريخُ، كنّا في البواكيرِ
وذلّلنا جماحَ البحرِ، في زخمِ الأعاصيرِ
أتبحرُ باتجاهِ «اللاّ ذقيةِ»؟ أم الى صورِ؟
إذا أقلعنَ من «أروا د»، أرست في «اغادير»
ونُهدي الأُرجوانَ الى «سمير اميس» آشورِ
وأبدعنا... فكان «الحرفُ» دربَ العقلِ للنورِ
وأغفت بينَ أيدينا مقاديرُ المقاديرِ

★ ★ ★

ولكن... أذنبَ التّاريخُ، ذنباً غيرَ مغفورِ
فهدهدَ فاجرَ الأحلامِ في أجفانِ شرّيرِ
وصيّر كرْمَ «راحاب» الخنا، نهبَ النّواطيرِ
تحومُ به، ترفُّ عليهِ آلافُ العصافيرِ
تُنقّرُهُ، تمصُّ رحيقَهُ شتّى الشّحاريرِ
فراخُ الصّدرِ تبقى مشرئبّاتِ المناقيرِ
ولا ترضى لها إلاّ قميصاً غيرَ مزرورِ
ومَوّاجاً، بغيِّ العطرِ، لكن.. غير مضفورِ
لِتَسْرقَ من جماهيرِ الورَى، وعيَ الجماهيرِ

★ ★ ★

وغمّسَ أصغريها بالخطايا، والدّنانيرِ
أضلّت قومَ موسى، وهوَ عندَ اللهِ في الطورِ
ولم تستعذبِ الأنغامَ، انغامَ المزاميرِ!
وهل يرضى؟... وفي كفّيهِ آثارُ المساميرِ!

★ ★ ★

كتابُك .. إن شيئاً في كتابِك غيرُ منظورِ
أكاد أضمُّه... أشتمُّه، خلفَ التعابيرِ
أرشُّ على دروبكِ فرحتي، .. غاري ..أزاهيري
ومن قُبلاتِ شمسِ الشّرقِ شيءٌ في اساريري

حامد حسن

مزيفو الأدب

بقلم: السيدة وداد سكاكيني

كنت أعجب « لآندره والتر » كيف أخفى نفسه وراء اسم ابتكره متستراً خلفه زمناً ، وهو يستهل حياته الأدبية في أعقاب القرن الماضي ، حتى مطالع نهضتنا المعاصرة ، فكان هذا الاسم المستعار يتردد في الصحف والندوات حتى عرف صاحبه وذاع أدبه ونبوغه وقد حببه إلينا منذ بضعة عشر عاما أديبان من أعلام البيان والتجديد هما الدكتور طه حسين مد الله في عمره والكاتب البيروتي عمر فاخوري يرحمه الله .

كنا نريد أن تطمئن قلوبنا بشفاء هذا الكاتب الكبير الذي أضناه الألم الصامت والهم الخفي ، وكان يريدنا على أن نستمع لما استمتع به وألهاه وهو موعوك عليل ، فدعانا لمكتبته الجديدة بخزائنها الحافلة الأنيقة، واحدة وقد ازدحمت رفوفها بمؤلفات « آندره جيد » فحدثنا الفاخوري طويلا عن هذا الأديب العظيم الذي طبعه ببعض طوابعه ، وكان مثله صريح الرأي ساحر التعبير ، احب كتبه اليه « الأغذية الأرضية » الذي نشره عام ١٨٩٧ ولفت به الأنظار والأفكار ومنها « مزيفو النقود » الذي شاع أمره وخبره ، وملأ المكتبات والمطارحات بموضوعه ومحتواه منذ صدوره عام ١٩٢٥ .

وقد تناول الفاخوري هذين الكتابين وأخذ يقرأ لنا من الأول صفحات في حوار ممتع عميق ، ولم يكن الوقت مساغا بقراءة صفحات من الكتاب الآخر فبقي خاطري حواما على اسمه ، ولأسماء الكتب وعنوان الموضوع إغراء كان يتقنه في أدبنا القديم أبو العلاء المعري وأتقنه في الحديث الاساتذة عباس العقاد وطه حسين ، وشفيق جبري وعمر فاخوري وأمين نخلة ، ولما عرفت فحوى الكتاب ومدار فكرته وطريقته وجدت آندره جيد الذي كان يقف وراء « والتر » متسترا قد حسر القناع عن وجهه ، وطرحه أرضاً ليبدو ضاحياً بريئا من الزيف ، وهو لم يزيف أدبه وانما زيف اسمه مدة واستعار غيره وقد ألقى معاذيره، فان صغار الأدباء والناشئين بالفن من الموهوبين يصطنعون أحياناً غير أسمائهم الحقيقية ريثما تمضي التجاريب والمرانة في آثارهم وتحل في نفوس القراء محلها من التقدير،لكن آندره جيد حين كبر واستولى على أمد الأدب وتبجبح في القمة غدا مشعلا من مشاعل الفكر العالمي المعاصر ، فكان إذا أطلق حكماً أدبياً أو رأياً نقدياً صار ميسماً دامغا .

على أن القارىء يحسب لأول وهلة أن كتاب«جيد» عن المزيفين للنقود هو للكشف عن تزييف « العملة » وكم كان مثل هذا الكتاب الشائق في حقيقة اسم ومحتواه جديراً بأن يكون قصة إرهابية من قصص التجسس والعراك ، يجد فيها القارىء كيف يزيف اللصوص والمزورون أوراق النقود وما يبدو من البراعة والشطارة في أدوات الزيف ،ومساكب القوالب

التي تصب فيها قطع النقود من مختلف المعادن، لكني لم أجد شيئاً من ذلك عن الأديب النقاد الذي سبق أنداده الى القول الصراح في مذكراته التي فضح فيها نفسه بما لم يجسر على اتهامه به أشد خصومه ومن تتبعوا كبواته ، وكان عليه في كتابه « مزيفي النقود » أن يؤثر في نقده التصريح على التلميح كعادته ، لكنه أشفق فيه على المزيفين لكي لا يقدموا للمحاكمة .

ولم يكن هؤلاء لصوصاً وارهابيين يعسون بالليل وانما كانوا يعبثون بالأدب ويحفرون تحت حيطانه ، وما كان الخطب في تزييف الفلوس والدنانير بأهون منه في تزييف الآثار الأدبية والفكرية ، فان هذه تستعصي على التتبع والمصادرة لانها تختفي وراء الأقلام والأهواء ، وتتخذ من المداد صباغا للتمويه ومن الورق قناعاً للدس والمغالطة .

وتاريخ التزييف الأدبي قديم في حياة الشعوب ، لعب في أسواقه الوراقون والمؤلفون معا ، فكأى من كتاب لم يخط صاحبه فيه سطراً أو بعض سطور ربما نسب الى أديب مغمور أو كاتب مشهور ثم وسم باسم من لم يصنعه وعاش في سجل الأدب وتاريخه على أنه صادق أصيل ، وما كان في حقيقته الا هجينا أو دعياً تلاحقه الشبهات على ترادف العصور والاجيال .

وقد حدثنا الجاحظ أديب التهكم والحياة ، بأنه اضطر في زهوة عمره وعصره الى أن يشتغل بتزييف الأدب فكان يقول : ربما ألفت الكتاب ونسبته الى غيري فتتلقفه الأيدي ويروج ، واذا نسبته الى نفسي خشيت الاعراض عنه والتجافي .

وغير الجاحظ كثير من الأدباء العرب والمؤلفين كتبوا لغيرهم من الرجال والنساء مأجورين أو مضطرين، ودس بعضهم بين الصفحات والسطور ما لم يقل ذووها لينالوا منهم ولو بعد حين ، ويشيعوا الريبة في آثارهم ، ولقد عاشت حرفة التزييف حتى أدركت عصرنا وغدت سوق الأدب اشبه بسوق المصارف وزاحم الدخيل الأصيل ، فمن القواعد الاقتصادية ما قرر علماؤها بشأن الزيوف حتى قالوا ان العملة الزائفة تطرد من السوق العملة الصادقة ، فان الأولى تنتقل بخفة وخفاء من يد الى يد ومن جيب الى جيب ، اذ يطل عليها صاحبها بالقلق والفزع ، ويسعى بدهائه للتخلص منها حتى اذا صارت بيد غيره كان أمرها معه كأمر السابق .

ولقد نزلت هذه المياسم سوق الأدب الحديث في صحف ومؤلفات تزاحم بمناكبها العارية آثار الثقات من المفكرين والموهوبين ، وتضن عليها وعليهم برواج أدبهم وتضيق بنبوغهم فتسميه قديما جافاً وتحسب أن الأدب تجارة هينة ووسيلة للكسب والشهرة ، فكان من هذه النقود الأدبية صنوفا ممسوحة وأكداساً مزخرفة في اشكال الشعر والقصة والمسرحية،وصفقات مصرفية للكتب الجنسية والبوليسية باسم القصص الحديث .

على أن للسوق السوداء التي يعيش في خباياها النقد الزائف، عيونا راصدة تلاحقها لتزيل عن الناس شبهتها ، أما في الحياة الأدبية فان التزييف بمنجاة من الراصدين ، وقد يقيض للعابثين نقاد لا يتحرجون من التصريح والتشنيع على المزيفين المتهمين في أدب الشرق والغرب ففي المسامع والأذهان حكايات وصيحات لبعض النقاد الذين أمسكت أقلامهم بشبهات في الأدب وزيوف ، وكان من أشهرهم الكاتب هنري بيرود الذي تصدى للسياسي الأديب فونيل ونقد كتبه الزائفة ، وقد تفرغ الدكتور بيدال شيخ الأدباء المعاصرين في أسبانيا لتنقية التاريخ الأدبي المكتوب بشعر الملاحم

منذ عصر المعتمد بن عباد ومنذ حياة السيد حتى يومه هذا .

ويعيش الفيلسوف والأديب الوجودي « جان بول سارتر » حياة صراف حاذق يعرف الجيد من الرديء في نتاج الفكر والأدب ، وراح البير كامو من الوجود ناقماً على العابثين بالقيم والحقيقة ، متمنياً أن تخلص الانسانية من أدب المزيفين .

ولم تكن ثورة أدبائنا الكبار على مزيفي الأدب في هبة الحركة الفكرية الحديثة بخافية على أدب اليوم أو منقطعة الصلة بهجومه وقضاياه ، لقد اشتدوا بنقدهم العنيف على العبث والسطحية والانحراف في نتاج الكتاب والشعراء وطالما لاقوا الخطوب وعانوا المتاعب في هذا السبيل ، وبخاصة حين وفدت المذاهب المتعددة وتنازعت الآراء حولها وسيطرت الأضغان ، حتى ترادفت الأيام واقتحمت الانتفاضة الثورية العربية مجال الفكر والأدب واللغة ، ففتحت البراعم المبكرة وعمقت التفكير والشعور في الموهوبين والمتمرسين ، لكن تزيف الأدب بشتى أشكاله ووسائله بقي زاحفاً متسللا بقناعه الشمعي الملون ، واذ بالنقاد اليوم يزيدون على عدد الأدباء ، فكل مبتدىء في الكتابة يبادر الى نقد الكتاب والمؤلفين وآثارهم قبل أن يحسن التعبير والأداء حتى بات النقد الأدبي يعاني في محنته التخلف والاضطراب .

أما النقاد الموثوق بنقدهم والذين زهدوا الا لماما فيما كانوا بسبيله من تنقية الحياة الأدبية فانهم على قلتهم لا يزالون رصدا للحركات النقدية الجديدة . لقد رأوا العلم قد أغلق بابه دون الأدعياء والمزيفين فلم يستطع أحدهم أن يجتاز الوصيد اذ خلق العلم لنفسه هذا الرتاج المنيع ، ولم يتناوله العبث والزيف الا في قليل من غفلات أهله ومختبراته ، لكن الأدب منذ كان لم يعرف رتاجاً ولا باباً مغلقاً أو ضيقاً في كل العصور والشعوب ، وقد تأتى هذا من طبيعة حريته ورسالته ، حتى غر الباب المفتوح على مصراعيه كثيراً ممن تسللوا اليه بالتزييف على اختلاف أشيائه وأزيائه ، ولم تكن المرأة الغاوية في البريق بمعزل عن هذا الأمر ، فهي لا تجد غضاضة في اللغط حولها ولمز أسبابها اذا التمسته على هواها أو من غير نبعها وطبعها .

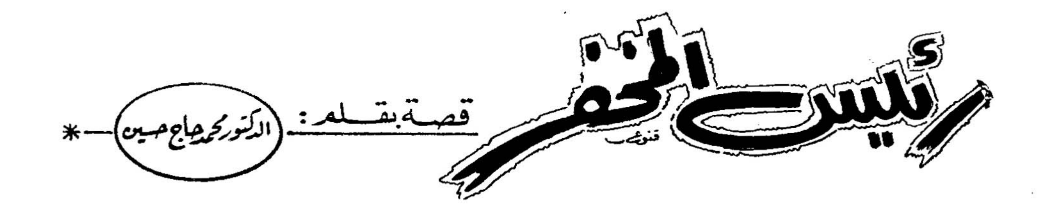
وكان شأن الفئة القليلة من النقاد والرواد كشأن آندريه جيد في كتابه « مزيفي النقود » يؤثرون في زحمة الأقلام التلميح على التصريح بعد أن كانوا يشتدون على الزيف والعبث بنقد لاذع فضاح وهم أدرى بالأسباب الى تخلف النقد الأدبي عن فنون التعبير والابداع في نتاجنا الحديث .

من أجل هذا انساب خاطري الى آندره جيد في كتابه عن الزيف والى الآثار الباقية والدوي الذي تركه رواد التطور والتجديد في أدبنا المعاصر ممن كتبوا عن مزيفي النقد والأدب بثورة الشباب واتساع الثقافة ونبوغ المواهب حتى اذا اقتربوا من الكهولة وشهدوا الزحام والركام أشفقوا على اللاهثين وراء الضباب والسراب .

وبعد فان الأديب والناقد يتجاوبان ويتكاملان اذا عرف كل منهما نفسه ورسالته وسعى بعمله الفني والابداعي الى تحقيق معاني الحياة وتصوير الانسانية بشوقها وطموحها الى قيم الخلق والجمال .

والأديب الصادق أولى بنقد ذاته وطاقته في تعبيره وآثاره وحمل تبعاته ، وما كانت الأحكام النقدية المتحررة الا لحفز الموهوب والمطبوع للنبغ والاتقان وتعميق الفكر والشعور بأطوار المجتمع والحياة الحضارية المتجددة .

وداد سكاكيني



جاءني مربد السحنة ، محمر العينين ، راعش اليدين كأن مصائب الدنيا انثالت عليه دفعة واحدة •• وبعد أن تهالك على أقرب مقعد غلغل نظراته الحزينــة في ، وتندت عيناه بالدمع ، وقال : أنا في عرضك •

ــ ماذا دهاك اليوم يا توفيق ؟••

ــ مصيبة عظيمة •

ــ خيراً • ان شاء الله •

ــ صدر الأمر بنقلي •

ــ كل موظف معرض للنقل •

ــ أنا لايهمني النقل •• لولا أن زوجتي حــامل ، وستضع بعد بضعة أيام •

ولقد نقلت الى مخفر بعيد في قرية جبلية ليس فيها طبيب أو قابلة • وزوجتي تتعسر ولادتها عادة ، وقــد تتعرض للموت اذا لم يسعفها الطبيب •

ــ وماذا تريد مني ؟••

ــ أرجوك أن تتصل برئيسي،وتطلب اليه أن يؤجل أمر النقل حتى تضع زوجتي •

ــ ولماذا لم تطلب اليه هذا بنفسك ؟

ــ لقد فعلت •• ولكنــه صرخ بي •• يجب أن تذهب فوراً الى مقر عملك الجديد •

ــ يمكنك أن تترك زوجك حتى تضع طفلها ، ثم تأخذها اليك •

ــ الرئيس لايريد هــذا •• يجب أن أسلم البيت فوراً الى خلفي •

ومستني هذه المـأســاة في الصميم ، وذهبت الى رئيسه ، وكانت علاقتنا طيبة ، واعتقدت أنه لايرفض لي مثل هذا الطلب الانساني •• بيــد انني خبت في مسعاي ، ورفض أن يصغي الي ••

وقلت لتوفيق : يؤسفني أنني فشلت •

ونظر الي بذهول •• وخالني أمزح ••انه لايصدق انني لم أوفق في تأخير هذا النقل بضعة أيام •

وقال : أحقاً رفض طلبك ؟••

ــ بلى •

ــ لاحول ولا قوة الا بالله •

ــ لقد تراءى لي انه شديد الحنق عليك •

ــ ألم يقل السبب ؟••

ــ لا ••

وهز رأسه ، وقال : دنيا ملعونة • الشريف لايعيش فيها •• ولو كنت لصاً لتفاديت هذا النقل ، وعشت في ترف • ولكنني ارتضيت باللقمة المغموسة بــالدم لي ولأطفالي ، فكانت النتيجة كما ترى ••• هذا التشريد في ظروف قاسية يرق لها الصخر •••

وسهمت نظراته ، والتقط أنفاسه قليلا ثم تابع :هل تعرف سبب غضبته علي ؟••

ــ لا أعرف •

ــ عندما انتقلت الى هذا المخفر منذ شهرين دعاني اليه ، وقال : لقد اخترتك يا توفيق لهذا المخفر لأنني عهدت فيك النشاط والحيوية •

ــ سأكون عند حسن ظنك ياسيدي •

ــ ان المخفر غني جداً••ويجب أن تعلم أن زملاءك يتقاتلون عليه ، ويريد كل منهم أن يحظى به •• ولقد آثرتك عليهم جميعاً ، لما أعهده فيك من ذكاء •

وضربت التحية ، وأنا أقول : سأكون عند حسن ظنك يامولاي •

وزارني الرئيس بعد أسبوعين ، وفتش المخفر ، ووجد كل شيء على ما يرام ، فالخدمة تامة ، ورعاية المواطنين متوفرة ، والأمن موطد •• ولكن الرئيس انفجر بغتة يكيل لي التهم ، ويسبني بقسوة ، وهدد ، وتوعد •• وأنا لا أدري السبب ، وخرج من المخفر ، وهو يلعنني • وحرت في أمري • ماذا فعلت ؟ هل شكاني أحد ؟ وتحريت الأمر ، وعلمت أن أحدا من المواطنين لم يتقدم بأية شكوى ••بل وضح لي العكس تماماً •• فأنا رئيس المخفر الوحيد الذي أحبه الناس لتجردي ونزاهتي ، وسهري على الخدمات العامة ، ومعاملتي المواطنين على قدم المساواة ، وعدم ابتزازي الأموال بالباطل كما عهدوا من رؤساء المخافر الذين سبقوني •• حتى ان بعضهم كتب رفيعة الى رئيسي يثنون بها علي ، ويمتدحون أخلاقي ونزاهتي •

وطلبني رئيسي ، وابتدرني قائلا : لماذا دفعت الناس الى كتابة هذه الرفيعة التي تثني عليك ؟••

ــ والله ياسيدي •• بذلت المستحيل لأثنيهم عن رفعها ، ولكنهم رفضوا •

ــ ان هذا العمل ممنوع •

ــ نعم ياسيدي •

وأمرني بالجلوس ، وزايلتني مخاوفي عندما ابتسم لي •• ثم قام من مقعده ، واقترب مني ، وربت على كتفي برقة ولطف • وقال : هل تعلم انني أحبك ياتوفيق ؟

ــ الله يحفظك ياسعادة الرئيس •

ــ أنت نشيط وكفء وطيب •

ــ توجيهاتك ياسيدي الرئيس •

ــ ولكنني مع هذا زعلان منك •

ــ صحيح •• أنا زعلان منك •

ــ العفو ياسيدي ••

ــ ماذا فعلت لأستحق هذا ياسيدي ؟••

ــ مخفرك غني جداً ومشاكله كثيرة •• ومعهذا!•

وسكت هنيهات ، ثم سعل بشدة ، وقال : يبدو أنك بطيء الفهم •

ــ كما تأمر ياسيدي •

ــ سأكلمك بصراحة •• أريد منك خمسماية ليرة كل شهر •

وكدت أهوي على الأرض •• ان راتبي مائتا ليرة •• فكيف أجلب له هذه الخمسماية الملعونة ؟ وتطلعت اليه ، وأنا في ذهول شديد••وكدت لاأصدق أذناي • وابتسم الرئيس ، وازدادت مخاوفي عند هذه الابتسامة التي تحمل ألف معنى ، وقال : فهمك كفاية •• ياتوفيق •

ــ سيدي •• ماذا تعني ؟••

ــ أنت تعلم ان الغلاء شديد في هذه الأيام ، وراتبي لايكفيني •

يا إلهي •• اذا كان راتبه الضخم لايكفي •• فكيف يكفيني راتبي الضئيل ، وعيلتي مؤلفة من خمسة أشخاص ؟•• وأحسست بضيق شديد • وكدت أختنق •• انه يدفعني لابتزاز الأموال من الناس لأقدمها له لقمة سائغة •• ولكن •• أيمكن هذا ؟•• يستحيل •• انني أخاف ربي ، وأصلي صلواتي ، وأعرف أن الله يراقبني ، ويحصي علي أنفاسي ، ويعلم خائنة الأعين ، وما يضمر السر ، فكيف أعصي ربي لأرضي جشع رئيسي ؟••

وفتحت فمي ، ولكنه سدد الي نظرات قاسية ، واختنقت الكلمات ••وصرخ بي : يمكنك أن تنصرف الآن • اذهب الى عملك •• وانني في انتظار آخر الشهر •

وخرجت ، واستقبلني الظلام في كل مكان،ووصلت الى مقر عملي منهوك القوى ، ناضب الحيوية . وأويت الى غرفتي .. واعتمدت رأسي بين يدي ، وانخرطت في بكاء شديد .. ما هذه الورطة يارب ؟ وكيف الخلاص منها ؟ ألا يستطيع الانسان أن يكون شريفاً في هذه الدنيا ؟ كيف أقدم على ابتزاز أموال الناس ؟ ألا يخشى هذا الرئيس أن تسحقه لعنة الله ؟ وضاقت أنفاسي ، وازرق لوني ، وغامت علي الأمور. واستدعيت الشرطي مصطفى ، وكان صديقاً لي ، ونفضت أمامه مأساتي . وكان شريفاً لاينقطع عن العبادة . وقلت له : ما رأيك في هذه البلية يامصطفى؟

وقال بلهجة حزينة : الرئيس واضع ضريبة على كل مخفر .. وتقدم اليه بانتظام .

ـ وهل هذا عدل ؟.

ـ وماذا نستطيع أن نفعل ؟

ـ وما رأيك الآن ؟

ـ الأمر لك .

ـ هل نسلب الناس أموالهم لنقدمها اليه ؟

ـ هكذا يريد .

ـ أفضل أن أسرح من عملي ، ويسوت أطفالي جوعاً ، ولا أقدم على السرقة .

ـ وأنا مثلك تماماً .

وجاءت نهاية الشهر بأسرع مما كنت أتوقع ، وجاء الرئيس معها ، ودخل المخفر كالفاتحين . وبعد أن ابتسم لي سألني عن الأحوال . وقلت : جيدة والحمد لله . واحتسى القهوة ، ونفث دخان لفيفته ، ثم قال لي : هات مامعك .

ونظرت اليه ، والذعر ينبض في ملامحي .. ليس عندي سوى راتبي .. وأنا مدين بأكثره الى البقال

عاد شاعرنا الكبير

منذ أيام وصل الى دمشق الشاعر الذي أحب دمشق وأحبته ورافق الأمة العربية في كل ميادين كفاحها وغناها كل ملاحمها ووهبها كريم عاطفته ، انه الشاعر الكبير الاستاذ بدوي الجبل .

ومجلة « الثقافة » التي تعرف بشاعرنا الكبير أخاً كريماً وصديقاً نصيراً تتقدم بأجمل التهاني بسلامة وصوله آملة أن يجد الانسان العظيم في بلده ما هو أهل له من اجلال واكبار وتقدير .

والخباز واللحام . ولكنني آثرت أن أتفادى غضبه ، وتناولته من جيبي ، وقدمته له ، وعده ، وصرخ : مائتا ليرة .. أين الباقي ؟

ـ ياسيدي .. هذا كل راتبي .

ـ أين الباقي يا كلب ؟

ـ لم أحصل على شيء .

ودس الراتب في جيبه ، وصرخ ، وهو يزفر غيظاً : حقير .. كلب ..انك منقول من هنا الى أقصى مكان.

ووصلني قرار النقل في اليوم التالي .. ماذا فعلت يارب حتى ألاقي هذا الظلم ؟

وأردت أن أقول شيئاً . ولكن الكلمات تعثرت في حلقي .. وتطلعت من النافذة .. وكانت السماءملتفعة بالغيوم السوداء .. والمطر ينهمر مدراراً .. وتساءلت بيني وبين نفسي : هل الطبيعة أيضاً في مأساة ؟ وهل هذه دموعها تبكي بها المعذبين في هذه الأرض ؟

« محمد حاج حسين »

من مشروع مارشال الى السوق المشتركة

بقلم : لازار روزنستروف
تعريب : الاستاذ احسان حصني

كان قيام السوق المشتركة نهاية تطور مزدوج : سياسي واقتصادي . وقد اتسم هذا التطور في الميدان السياسي بالعداء بين الشرق والغرب وبما اتفق على تسميته « بالحرب الباردة » وبتعيين عدو اكيد هو الاتحاد السوفياتي وخلق منظمة الحلف الاطلسي العسكرية . اما في الميدان الاقتصادي فقد انطلق التطور من واقع ماثل (هو القوة الاقتصادية المتمركزة في عدد من بلدان اوربا الغربية وحجم المبادلات التي تتم داخل هذه البلدان) ، وتتابع باتجاه تمركز صناعي متزايد الشدة ، تمركز يبدو كأنه ضرورة حيوية للنظام الرأسمالي ولذا كان من المستحسن التنويه بأهميته الحاسمة .

ولذا فاننا سنحاول توضيح المشكلة ونبين ما يتستر وراء لفظة « اورتي » بتتبع هذين الخطين الرئيسيين الموجهين .

ان عداء الغرب للاتحاد السوفياتي الذي فتر خلال الحرب العالمية الثانية عاد فظهر من جديد اشد حدة وقوة بعد انتهاء العدوان . فمن هذه الزاوية المعادية للشيوعية ينبغي ان ننظر لخطاب ونستون تشرشل « الاوربي » الشهير الذي القاه في زوريخ في ١٩ ايلول ١٩٤٦ . لقد اطرى تشرشل في هذا الخطاب التعاون الفرنسي الالماني في اطار اوربا موحدة قارة على ان تقاوم الاندفاعة الشيوعية مقاومة فعالة . ومن الجميل ان نلاحظ ان احد الساسة البريطانيين كان اول من اطلق فكرة التحالف الفرنسي الالماني الذي اصبح الان بعد تحققه باعثا من بواعث قنوط الحكومة البريطانيه.

وسجل عام ١٩٤٧ اشتداد السياسة المعادية للسوفيات . فقد ابعد الوزراء الشيوعيون الاعضاء في عدد من حكومات اوربا الغربية . وقررت الولايات المتحدة ، تجاه تزايد المشكلات الاجتماعية التي كانت هذه الحكومات تعجز عن حلها ، ان تمد يد العون لاعادة النظام الاقتصادي الرأسمالي الى اوربا . فكان مشروع مارشال ، وفي شباط ٩٤٨ بسط الحزب الشيوعي سيطرته السياسية على تشيكوسلوفاكيا وسرع انقلاب براغ تطور التعاون بين الدول الاوربية بزعامة الولايات المتحدة : فتم التوقيع على ميثاق بروكسل العسكري في ١٧ آذار ٩٤٨ واقيمت في ١٦ نيسان من السنة نفسها « المنظمة الاوربية للتعاون الاقتصادي » لتأمين توزيع المساعدات الاميركية وقد اصبحت هذه المنظمة الجهاز الموجه والمحرك لتعاون امم اوربا الغربية .

واخذت سبع عشرة امة تنسق عملها الاقتصادي وتنمي المبادلات داخل اوربا وتلغي الحدود الكمية وتخفض الحواجز الجمركية وتعمل على جعل العملات قابلة للتحويل وذلك لتقتسم المليارات الثلاثة عشر من الدولارات التي ستضعها الولايات المتحدة تحت تصرفها خلال اربع سنوات . ولا يمكن ان نفصل في هذا التطور المعطيات الاقتصادية عن المعطيات السياسية . فالواقع ان الهدف الرئيسي الصريح من هذه المنظمة الاقتصادية (المنظمة الاوربية للتعاون الاقتصادي .O. E. C. E) هو تمكين بلدان اوربا الغربية من ان تواجه معا مجهود اعادة التسلح الجبار وان تنفذه وفق توزيع دولي للعمل .

ولكن ميثاق بروكسل اعتبر غير كافٍ وعقدت في ٤ نيسان ١٩٤٩ معاهدة الاطلسي الشمالي التي ستتيح اقامة جهاز عسكري هائل على مستوى اوربا الغربية تديره الولايات المتحدة ويكون موجها مباشرة ضد الاتحاد السوفياتي وحلفائه في شرقي اوربا .

لايمكن فصل حركة الاندماج الاوربية عن قصة الحرب الباردة والعلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي . ان مخطط شومان معاصر تقريبا لانفجار الحرب في كوريا (تموز ١٩٥٠) وهدفه الرئيسي ، وان لم يصرح به ، هو تهيئة الاسس الاقتصادية لاعادة تسلح المانيا : فصناعة الرور الثقيلة يجب ان تعاود نشاطها وان تزداد تمركزا حتى تستخدم كترسانة اوربية لحلف الاطلسي الشمالي .

ولكن شعور العداء تجاه المانيا وشعور الخوف منها كانا لا يزالان قويين يجب شلهما وتجاوزهما بالباس الصناعة الالمانية الثقيلة لبوسا اوربيا . وهكذا اخرج بعث المانيا الاقتصادي ثم العسكري كمشروع مشترك

بين البلدان الستة التي تمارس وصاية ورقابة دولتين على صناعة الرور . وقد صورت هذه البلدان الستة مجتمعة على انها الكتلة البرية المتماسكة اقتصاديا وسياسيا والتي يمكنها اذا وضعت مواردها موضعا مشتركا أن توفر « للغرب المسيحي » الصمود امام « بربرية الشرق » .

وهكذا وضعت ، بالاستناد الى مخطط شومان ، الحجر الاولى لبناء اوربا الستة المتمركزة حول التحالف الفرنسي الالماني . وقعت معاهدة باريس في ١٨ نيسان ١٩٥١ واقيمت بموجبها الاسرة الاوربية للفحم والفولاذ (C. E. C. A) وهي تضم فرنسا والمانيا الاتحادية وبلجيكا وهولندة واللوكسمبورغ وايطاليا . واصبحت نافذة في تموز ١٩٥٢ . اخضعت هذه المعاهدة منتجات الفحم والفولاذ في البلاد الموقعة الى سلطة وحيدة تلزم قراراتها حكومات البلدان الاعضاء وقد اعتبر الـ (C. E. C. A) مؤسسوها الحجرة الاولى في الاتحاد الاوربي .

بدىء العمل حالا بعد ذلك على اقامة اسرة اخرى تدل تباشيرها انها اهم بكثير من سابقتها . فالمطلوب هذه المرة ان توحد الدول الست الاعضاء في (C. E. C. A) ان جيوشها أي اجهزة سيادتها نفسها. ومبادأة كهذه هي مبادأة على غاية الجرأة والوصول الى اتفاق حولها لابد من ان يعتوره كثير من العسر . الا ان عداء الحكومات المعنية الجامح للسوفيات (ينبغي الا ننسى اننا كنا انذاك في اروع ساعات الحرب الباردة) قد يسر تهدئة كثير من المعارضات ودفع الى التنازلات الضرورية . وقد قامت الولايات المتحدة من جهة اخرى بضغط حاسم في هذا الميدان وان بقي سريا . لقد وضح لديها ان اوربا يجب ان تسهم على نطاق اوسع بالدفاع عن نفسها وان تعبىء قواها كلها وهذا مايقتضي اعادة تسليح المانيا . وهكذا وقع الستة في ٢٧ ايار ١٩٥٢ ، بعد مفاوضات مجهدة ، المعاهدة التي تنص على خلق اسرة الدفاع الاوربية (C. E. D.) وكان ذلك بمثابة اجتياز مرحلة فاصلة في طريق توحيد اوربا الستة . ان توحيد الموازنات والمناهج العسكرية لابد له بشكل طبيعي ، من ان يضطر الستة الى ان يحققوا تقدما في مضمار الاندماج الاقتصادي . بل ان هذا ، على الاقل،ماكان يأمله انصار المعاهدة . ولكنهم اخطئوا في الظن بان من الممكن السير في هذا الميدان من السياسة الى الاقتصاد وكان لا مندوحة من ان يبرهن لهم المستقبل بان النهج المعاكس هو الذي يمكن من النجاح في مواجهة القضية .

في الثلاثين من آب ١٩٥٤ رفضت الجمعية الوطنية الفرنسية (بفضل اتفاق اصوات الشيوعيين والوطنيين من اليمين المتطرف) تصديق المعاهدة التي تنص على انشاء اسرة الدفاع الاوربية (C. E. D.) . وانهار بذلك كل الصرح السياسي للاندماج الاوربي الذي كان قد بوشر بناؤه .

واقتضى الامر بضعة اشهر ليثوب (الاوربيون) الى رشدهم ويحاولوا من جديد المناداة باوربا الموحدة.

اصبح لمؤتمر ميسين Messine بهذه المناسبة اهمية خاصة فقد ضم بلدان (اوربا الصغيرة) الستة في حزيران ١٩٥٥ وانتهى الى اتفاق مبدئي يرمي الى تحقيق اندماج الستة في الحقل الاقتصادي اولا مما يتيح فيمستقبل ابعدمعالجة قضية الاندماج السياسي.

ولن ندخل في تفصيل المساومات التي تلت ذلك والصعوبات التي قامت اثناء المفاوضات وهي صعوبات كانت في اغلبها من صنع فرنسا ، لان ذلك التاريخ الطويل من الحماية الاقتصادية قد جعلها غير مهيأة للبحث في فتح سوقها الداخلية . ولنقل ببساطة ان التحولات التي طرأت على السياسة الخارجية في فرنسا خلال عام ١٩٥٦ بمناسبة حملة السويس الشهيرة جعلت الحكومة الفرنسية تعي عزلتها . زد على ذلك ان احداث المجر وتدابير القمع في بودابست قد اتاحت فرصة التلويح بحجة الخطر السوفياتي وادت الى تفجير رد فعل التحالف المعادي للشيوعية .

واخيراً ابرمت في روما في ٢٥ آذار ١٩٥٧ المعاهدتان اللتان تأسست بموجبهما الاسرة الاقتصادية الاوربية (C. E. E.) والاسرة الاوربية للطاقة الذرية (Guratom) ووضعتا موضع التنفيذ في مطلع كانون الثاني ١٩٥٨ بعد تصديقهما من الدول الموقعة عليهما .

وسنرى فيما بعد ماالذي تضمنته هاتان المعاهدتان وكيف تحققت السوق المشتركة وما هي الصعوبات التي اعترضتها . غير ان من المهم ان نشير الى ان كل ما سبق قيام السوق المشتركة من مفاجآت ذات طابع سياسي يمكن وضعها في اطار الحرب الباردة وان هذه الاسرة الاقتصادية هي في جوهرها محاولة سياسية وانها اخيرا مصطبغة من اصولهابصبغةمعاداة الشيوعية بشكل صارخ .

الا ان هذا العرض التاريخي الموجز لايعطي الا مشهدا محدودا من الواقع . والحقيقة ان اقامةالسوق المشتركة فيها استجابة لدوافع ذات طابع اقتصادي

اعمق بكثير مما قدمن لانها تقرر استمرار النظام الرأسمالي نفسه في اوربا الغربية .

فالاقتصاد الرأسمالي ، الذي قام في اوربا الغربية على انقاض الحرب بفضل عون الولايات المتحدة وتحت ضغط سباق التسلح ، لم يحقق النهوض فحسب بل اندفع في انطلاقة ممتازة . ولكن هذا الاقتصاد كان مقضيا عليه بالعطالة اذا لم يجد حلولا للمشكلات التي خلقها التبدل الذي طرأ عليه في زمن ما بعد الحرب . والواقع انثورة تقنيةعميقة (اصبحت ملموسةخصوصا من عام ١٩٥٠) قد غيرت اهم قطاعات النشاط الاقتصادي في اوربا الغربية . وكانت نتيجة هذه الثورة التقنية انتاجا موحد النوعية (standardisée) للسلع الاستهلاكية، انتاجا جماهيريا في نطاق حضارة الرخاء الشهيرة الاسطورية التي بدأ الناس يشعرون « بحسناتها » . ويرافق هذه الثورة التقنية زيادة في الكمّ وتخصص في الانتاج مما يقتضي توسيع الاسواق . فالسوق المحلية اصبحت لاتتيح اطفاء الاموال المثمرة الهائلة التي يتطلبها الانتاج الجماهيري والتي غزت قطاعات مطردة التكاثر . لقد اتسعت بتأثير التقدم التقني السوق الدنيا الضرورية لسلامة التثمير .

واصبحت الحدود الجمركية ، بالنسبة لاكثر قطاعات الصناعة نشاطا ، لاتمثل حماية يمكن العيش والازدهار في كنفها بل سدا او عقبة في سبيل افتتاح سوق اوسع امكانية. ولميبق امام الاقتصاد الرأسمالي في اوربا الغربية ، في سنوات مابعد الحرب ، الا اللجوء الى تبديل وتوسيع السوق الداخلية بعد انصرافه ، تحت ضغط الواقع ، عن المغامرات الاستعمارية .

ومن المهم ان ندرك ان هذه الطريق هي الوحيدة الممكنة الان بالنسبة للنظام الرأسمالي في اوربا ، وان في ذلك يتقرر مصير النظام واستمراره. ولذا لم يعارض احداث السوق المشتركة سوى الصناعات الهامشية والقطاعات الصناعية الشديدة التخلف . ولقد عبرت المقتضيات الحيوية الرأسمالية مابعد الحرب عن نفسها خلال اقامة السوق الاوربية المشتركة بسير عجيب نحو التمركز الرأسمالي والتحالفات والاتفاقات بين المجموعات الاحتكارية .

ومن المناسب ، قبل ان نحكم على نتيجة هذا التطور السياسي والاقتصادي ، ان نبحث على التوالي في القاعدة « الجغرافية » للسوق المشتركة وفي مضمون معاهدتي روما وفي سير التمركز الرأسمالي الذي سبق وتلا توقيع معاهدة اقامة الاسرة الاقتصادية الاوربية (C. E. E.)

واذا كانت الاسرة الاقتصادية الاوربية (C. E. E.) جامعة صالحة للحياة فمرد ذلك اولا : الى ان البلدان الستة الموقعة على معاهدتي باريس وروما تشكل مجموعة متجانسة نسبيا وذات خواص مشتركة. انها، جغرافيا ، تؤلف كتلة متصلة من مائة وسبعين مليونا من السكان متشابهين في مستواهم التطوري . ويبقى ذلك صحيحا رغم جيوب التخلف التي لها اهميتها وخصوصا في ايطاليا . أضف الى ذلك ان المبادلات التي تمت بين البلدان الستة في السنوات التي سبقت قيام السوق المشتركة كانت ذات حجم عظيم بشكل مطلق اولا بالنسبة للنشاط التجاري كله ثانيا . وكانت تتوفر في هذه البلدان قوة اقتصادية وصناعية فائقة يمكنها ان تصمد للمقارنة بالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. فاوربا الستة على صغر رقفها تعطي مايقرب من ١٦٪ من الانتاج الصناعي العالمي . وفيها عدا ماتقدم مجموعات صناعية احتكارية قائمة منذ عهد بعيد استطاعت ان توفر لنفسها في نطاق الحدود الماثلة قوة اقتصادية هائلة . ومن المفيد ان نشير الى اننا لو صنفنا الصناعات وفق مرتبة تمركزها حسب سلم تنازلية لاقت نفس الصناعات في المقدمة في البلدان الستة (الحديد ، التعدين الثقيل ، الكيمياء ، المناجم ، تحويل المعادن : صناعة السيارات والطائرات بوجه خاص) . وتمركز هذه القطاعات المتناهي الشدة يتوافق مع مقتضيات تقنية متماثلة في هذه البلدان كلها . واقامة السوق المشتركة انما كانت تلبية لمقتضيات مماثلة واستجابة لمرحلة جديدة من التمركز الرأسمالي .

فاقامة السوق المشتركة بين البلدان الستة المعنية ليست اذن حادثة مصطنعة بل استجابة لواقع قائم قبل السوق المشتركة . فهذه السوق المشتركة هي قبل كل شيء نتيجة سياسة الاحتكارات وهي بالتالي وسيلة لتنمية وتأمين قوة هذه الاحتكارات الاقتصادية وبالتالي نفوذها السياسي . والسوق المشتركة هي ايضا جامعة من الحكومات المحافظة ، ان لم نقل الرجعية ، تربطها بالارهاط الصناعية والمالية المهيمنة روابط عديدة. وقد طبع هذا الوضع الاسرة الاقتصادية الاوربية (C. E. E.) بطابع معين يجب ادخاله في الحساب عند البحث في مضمون معاهدة روما .

لقد حددت معاهدة روما ، التي احدثت الاسرة الاقتصادية الاوربية للفرقاء الستة هدفا وهو ان يحققوا في خمسة عشر عاما من تاريخ وضعها موضع التنفيذ (١ كانون الثاني ١٩٥٨) سوقا موحدة . ونحن لانريد ان نختصر هذه الوثيقة الطويلة المؤلفة من ٢٨٤ مادة ولكن من المهم ان نعرف خطوطها الكبرى الرئيسية .

عندما تتحقق السوق المشتركة فستؤدي الى حرية انتقال رؤوس الاموال والشغيلة داخل نطاقها بعد الغاء الرسوم الجمركية التدريجي بين البلدان المنضمة اليها والامتناع عن تحديد الاستيراد . وسيحمي هذه السوق المتناهية السعة فرض تعرفة جمركية موحدة . فالشرط الضروري لالغاء الحواجز الجمركية بين الستة هو الحماية تجاه الخارج أي قصر الاندماج الاقتصادي على البلدان الاعضاء دون الاخرين جميعا . زد على ذلك ان الستة يهدفون الى سجم سياستهم وتشريعهم بتنظيم سياسة تجارية مشتركة ازاء البلدان غير المنتسبة للسوق وبالتوفيق بين تشريعهم الاجتماعي وتنسيق سياستهم النقدية والضريبية واخيرا بالبحث عن سياسة زراعية اوربية . وسنرى فيما بعد ان هذه النقطة الاخيرة هي تجربة اليمة وفاصلة في تحقيق الاسرة الاقتصادية الاوربية . اما الهدف المعلن لمجموع تطور هذا الاندماج الاقتصادي فهو خلق اوربا سياسة موحدة (المادة ٢ من المعاهدة) .

اسست المعاهدة فورا اجهزة مكلفة بادارة السوق المشتركة . وينبغي ان نذكر بوجه خاص من بين هذه الاجهزة مجلس الوزراء الذي يمثل الحكومات الست والذي يشرف على اللجنة الاقتصادية وهي الجهاز التنفيذي الفعلي للاسرة الاقتصادية الاوربية . وتضم هذه اللجنة تسعة اعضاء تسميهم الحكومات ذات العلاقة . ولفرنسا ممثلان . ومن المفيد ان نسجل ان روبرت ليمنين كان احد عضوي اللجنة الفرنسيين خلال السنوات الاربع الاولى لقيام الاسرة الاقتصادية الاوربية (C. E. E.) وقد سبق ان بقي زمنا طويلا مكلفا بتأمين الاتصال بين اتحاد ارباب العمل الفرنسية (C. N. P. F.) والمجموعات الرأسمالية الاجنبية . ونضيف الى ذلك ان السيد ولترهلستن كان يقوم برئاسة اللجنة وهو صديق المستشار السابق اديناور ومعاونه .

وللجنة حسب تشكيلها طابع محافظ بارز جدا . وتنطبق هذه الملاحظة نفسها ايضا على مجلس ستراسبورغ الاوربي الذي يريد لنفسه ان يكون (برلمان الستة) والذي هو صورة ساخرة للمجلس التمثيلي لانه بقي بدون أي سلطة فعلية .

اشركت معاهدة روما بالسوق مباشرة بلدان ماوراء البحار التي كانت تحت سيطرة فرنسا وبلجيكا . وحددت شروط هذه الشركة بين الستة والدول الافريقية الثماني عشرة في كانون الاول ١٩٦٢ وجرت محاولة لاقامة بنية استعمارية جديدة تبقى القارة الافريقية تحت سلطان اوربا الستة . وقد كتب احد الصحفيين الجزائريين يقول: «ليست الاسرة الاقتصادية الاوربية سوى استعمار جديد على شكل شركة مغفلة» . وهكذا تتميز السوق المشتركة من نواحيها جميعا بالطبع الذي يمكن وصفه بالرجعي .

اما في نظرنا فالعنصر الاساسي في قيام الاسرة الاقتصادية الاوربية (C. E. E.) العنصر الذي يشكل الاساس العميق الاصيل انما هو تطور تمركز المجموعات الاحتكارية المتسارع في نطاق اوربا الستة .

ان اوربا الستة هي حكم الاحتكارات . وينبغي الا تخدعنا المفاهيم الليبرالية الجديدة لواضعي معاهدتي باريز وروما ولا التضييقات والتحريمات التي تتناول تحالف ارباب العمل والكارتيلات . فتجربة السنوات العشر من نشاط الاسرة الاوربية للفحم والفلاذ (C. E. C. A.) تبرهن لنا ، ان كانت هنالك حاجة للبرهان ، على ان السلطة العليا لم تستطع او لم ترد ان تعارض تطور التمركز الذي كان يجري في القطاعات التي كان من المفروض مراقبتها وخصوصا في المانيا . والتضيقات والتحريمات في هذا الميدان انما هي صواعق من الورق المقوى . والواقع ان السلطة العليا في الاسرة الاوربية للفحم والفولاذ كانت تريد ان تفرق بين التحالفات الحسنة والتحالفات السيئة وقد دلت التجربة على ان هذه التفريق وهمي : فالتحالف لايقف عند حدود النشاطات المباحة له بحسب الشرع النافذ بل يحاول ان يفيد من هيمنته على السوق ليمد نشاطه الى اغلب الفعاليات المحرمة عليه تحريما قاطعا . وهذا ماحدث بالضبط في نطاق تنظيم الاسرة الاوربية للفحم والفولاذ (C. E. C. A.) وهذا مايحدث الان رغم تحريمات معاهدة روما تلك التحريمات التي هي اقل قسوة مما جاء في نظام الـ (C. E. C. A.) واذا كان التنظيم الجديد اقل قسوة فليس مرد ذلك الى ان التنظيم القديم في نطاق السوق الاوربية للفحم والفولاذ قد ثبت عقمه بل انه ناجم بالحري عن اثر الاحتكارات الخاصة المتعاظم في وضع معاهدة روما اولا وفي تسيير السوق المشتركة ثانيا . ويكثر «الاوربيون» من الحديث عن العمل على سيادة المزاحمة في الاسرة الاقتصادية الاوربية والواقع ان هذه الاسرة قد اصبحت ميدانا للتزاحم الاحتكاري وان اندماج الستة الاقتصادي انما يقوم من خلال التمركزات الصناعية والاحلاف الدولية والاتفاقات بين الجماعات ويسهل هذا الاندماج أن

الحكومات في كل البلدان ذات العلاقة على تفاهم مع الجماعات الرأسمالية المهيمنة لانها حكومات قائمة على المحافظة السياسية . وتقودنا هذه الملاحظة الى البحث عن مدى امكانية الحكومة او الحكومات ، المرتبطة باقوى الجماعات الصناعية ، على ان تؤمن لنفسها السيطرة على مجموعة الاسرة .

تألفت الاسرة من بلدان كانت فيها الاحتكارات الوطنية والدولية قوية وقد اكتملت الروابط التي كانت قبلا وتعددت وقامت قبيل ابرام معاهدة روما تحالفات ذات صبغة دائمة في اغلبها . وادت اشكال الانتاج الجديدة الى اقامة الاحتكار في مرحلة الانتاج مما يقضي على الخلافات في المستقبل . وقد قامت بالفعل اتفاقات عديدة تعكس هذا الشكل من الاختصاص الصناعي اصل الانتاج الجماهيري ونتيجته .

من العسير ان نعطي بيانا كاملا عن التطور الهائل باتجاه التمركز ، ذلك التطور الذي كانت بلدان السوق المشتركة مسرحا له . فلنحاول مع ذلك تقديم بعض المعطيات على سبيل المثال :

اجازت السلطة العليا للاسرة الاوربية للفحم والفولاذ قيام عدة تمركزات في قطاعات الفحم والفولاذ فتم في عهدها اعادة تمركز صناعات الفحم والفولاذ في المانيا الغربية ويعد ذلك حدثا حاسما في اتجاه الاسرة الاقتصادية الاوربية المقبل . والعمالقة الذين يسيطرون اليوم على صناعة الفحم والفولاذ في المانية الغربية هم : بوشيمير فيرين (Le Bochmmer Verein) « اربعة ملايين طن من الفحم ومليون طن ونصف من الفولاذ » وبرجوبرك بوتسم روسينداي (Bergwerke Bochum Rossenray) « من جماعة كروب ستة ملايين طن من الفحم » وهيتين وبروجويرك راينهاوسن (Hutten und Berguerke) A. G. (Rheinhaussen A.G.) « من جماعة كروب ثلاثة ملايين طن من الفولاذ » ورهط مانيسمن (Mannesman) ورهط تيسن (Thyssen) ويدل هذا الحادث على قلة جدوى مناداة السلطة العليا بضرورة قيام اقتصاد وسوق مؤسسين على التزاحم بينما تسمح رسميا بعمليات تعتبر تنكرا لهذا المذهب .

وقد سرّع قيام السوق المشتركة سير التمركز في الميدان المصرفي والصناعي وهذه بعض الامثلة على ذلك :

— تحالف بين مصرف باريس والاراضي المنخفضة Banque de Paris et des Pays-Bas والمصرف الالماني (Deutshe Bank) لتأليف شركة اوربية للتنمية الصناعية .

— اتفاق تعاون عقد عام ١٩٥٨ بين مصرف الاتحاد الباريسي (Bank de l' Union Parisienne) وبنك ليون للتسليف (Crédit Lyonnais) والشركة العامة (La Société Généarle) وبنك الالزاس ورهط لويس دريفوس ومصرف درسدن (Dresdner Bank) (Bayeris-che Hypotheken und weehselbank) (Bankhous Hardy) (Bankhous Opprevheim)

— حلف بين مصرف رونشيلد والمصرف التجاري للتسليف والشركة المالية في فرنسا ومصرف لاميرت وشركة ماوراء البحار للصناعة والمال (بلجيكا) ومصرف التسليف المالي (ايطاليا) وبرلنرهندلزينك (المانيا) .

— اتفاق بين شركة بيك الفرنسية ومؤسسة كروب للتعاون على بناء منشآت كاملة لاستخراج الفحم .

— اتفاق بين لافاليت ومؤسسة بوش الالمانية لصنع قطارات بوش للديزل في فرنسا ببراءة بومش .

— اتفاق تعاون تقيني ومساهمة متبادلة بين شركة بيرتيه الفرنسية وشركة شيس (Schiess) الالمانية لصنع المحركات والآلات .

— ألف قلتن وغليوم كارلسويرك A. G. مع الشركة العامة للاسلكي شركة للصناعة الكهربائية دعيت (الشركة الاوربية لانابيب الهاتف) تعنى بدراسة وصنع الانابيب الالكترونية لتجهيز خطوط تحت البحار الى مسافات بعيدة .

— اتفاق بين باير — ليفركيسن ورون — بولنك على توزيع عدة مستحضرات كيميائية .

— اتفاق بين (N.S. U.Werke R. G.) والفاروميو في بناء السيارات .

— اتفاق في صناعة الطائرات بين مسرشميث وفوقا لبناء هياكل فوقا في المانيا . واتفاق دورنيه — بريجيه للاشتراك في انتاج D. C. 27 كما بدأت تليفنكن تصنع القذائف الموجهة بالاشتراك مع شركات (A. C. E. C.) وفيلبس وفمنيكانيكا وتومسون هوسنون .

وكان من الممكن ان نتابع هذا البيان بذكر اتفاقات عقدت في صناعات اخرى كصناعة الورق والنسيج والنفط لو لم نخشى ان يظهر هذا التعداد رتيبا مملا . غير انه لابد من الاشارة الى الاتفاقات بين الشركات المختلفة التبعة انما سبقته اتفاقات على النطاق الوطني وان هذين الشكلين من التمركز يتميزان باسهام الرأسمال النقدي بقوة وهذا الرأسمال مدعو للقيام بدور حاسم في سياسة السوق المشتركة .

وأدى انشاء السوق المشتركة من ناحية اخرى الى

قيام تحالفات بين الشركات الاميركية والشركات الاوربية وهي تحالفات تتسم بطابع توظيف اموال اميركية كثيرة في اوربا . فالصناعة الاميركية ، وقد افلقتها هذه السوق المشتركة التي اصبحت منطقة ذات انتاجية صناعية عالية ستحميها في المستقبل تعرفة جمركية موحدة ، قد صممت على انشاء فروع لها في البلدان الستة وعلى السيطرة على السوق الاوربية من الداخل . وهذه بعض الامثلة التي توضح ذلك .

ـ احدثت وستنكهاوس فرعا لتلبية حاجات الاسرة الاوربية للذرة (Euratom) بالطاقة النووية وانشأت كارتل مع فيات وسيمنس ورشات الصناعة الكهربائية في شارلروا (A. C. E. C.)

ـ عقد اتفاق في صناعة السيارات بين ديملر وينز وستديبكر وكريزلر وسيمكا .

ـ واقامة شركة (Consolidated Electrodynarnies Corporation) من بنيرانا فرعا في فرنكفورت لصنع اجهزتها العلمية .

ـ استولت شركة (Esccello Corporation de Détroit) على ١٠٠٪ من اسهم شركة (Goppingen) ووسعت الى حد كبير منشآتها لصنع المحركات الآلات

وهكذا آلت كل الاتفاقات التي سارت باتجاه المركزة الرأسمالية الى ضمان هيمنة الشركات المالية والصناعية المؤلفة من تداخل المصارف والمؤسسات الكبرى بشكل متعاظم ومن مساندة الرأسمال الاميركي . ويجوز لنا بالاستناد الى التطور الصناعي الذي نتج عن ذلك ان نعتبر السوق المشتركة كأساس اقتصادي لحلف شمالي الاطلسي في اوربا .

ان قطب التطور الصناعي المؤلف من منطقة الرور ـ اللورين هو في سبيله الى ان يصبح قلب اوربا الصغيرة . ان هذه المنطقة التي يبلغ فيها التمركز الصناعي والمصرفي والمالي حدا كبيرا هي كذلك احد اسس التحالف الحالي بين باريس وبون ، هذا التحالف الذي يمكن ان يستمر بعد زوال اديناور وديغول ما ارادت له الشركات الاحتكارية الاستمرار . فالواقع ان هذا الحلف السياسي يقوم على الهيمنة على السوق المشتركة من قبل الشركات الاحتكارية الفرنسية والالمانية الموجودة في المجموعة الصناعية (رور ـ لورين) . ويخشى ان ينزلق هذا الحلف نحو سيطرة المانيا الغربية سيطرة مطلقة وهي المتفوقة على فرنسا بقوتها الاقتصادية والمالية واسهامها العسكري في الدفاع عن اوربا .

* * *

كان اليسار يظن ، عند افتتاح السوق المشتركة ، ان البنيات الاقتصادية في مختلف البلدان ستلقى شيئا من العسر في التكيف بحسب الوضع الجديد . والواقع ان هنالك نوعين من القضايا كان يثيران القلق الى حد ما : القضايا الناجمة عن التجديد وتحويل الفعاليات التي كانت حتى الآن محمية الى اقصى حد من المزاحمة الاجنبية ، والقضايا التي تت..ت الى ضرورة تحقيق توافق دقيق بين جهاز الانتاج وتطور التقنية والحاجات . ولنسارع الى القول ان الانتقال الى مرحلة الدمج قد جرى ولا يزال يجري دون التعرض الى النكبات التي تنبأ بها اليسار وذلك بعد ان مهد لهذا الانتقال باتفاقات وتحالفات دولية عديدة وان قيام السوق المشتركة حل موقتا بعض تناقضات النظام الاقتصادي الرأسمالي .

غير انه يبدو ان الستة سيواجهون عنتا في وضع سياسة زراعية موحدة . وليس من قبيل المصادفة ان تتعثر السوق المشتركة في ميدان لم ينفذ اليه النظام الرأسمالي نفاذا كاملا ولا تزال البنيات الاقتصادية في بعض مناطقه من النوع السابق للرسمالية . وقد نكون بعيدين عن الحقيقة عندما نتحدث عن التعثر لان ٢٥٠ جلسة في بروكسل حافلة باشد المناقشات عسرا كادت تؤدي في عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢ الى انفجار الاسرة الاقتصادية الاوربية لا لشيء سوى ان الستة كانوا عاجزين عن التوصل الى سياسة زراعية موحدة والتسوية التي تمت في بروكسل في ١٤ كانون الثاني ١٩٦٢ لم ترض في الواقع احدا .

لقد اتفق اثناء وضع المعاهدة التي قامت بموجبها الاسرة الاقتصادية الاوربية على نظام خاص للزراعة . ولم يكن هذا النظام يتصل الا باسباب واهية بالمزاحمة التي وضعت مبدئيا للقطاعات الاخرى من السوق المشتركة وكان من الواضح في الواقع ان تلاؤم القطاع الزراعي في السوق المشتركة لم يكن من الممكن ان يبدو سهلا بمقدار قطاعات الاقتصاد الاخرى . فبينما اعطى تشكل الارهاط للصناعة الاوربية بنية احتكارية موحدة ، اعطت التقاليد والنظم الحقوقية وسياسات المساعدة والحماية الحكومية زراعة كل بلد شكلا خاصا . زد على ذلك ان الاسواق الزراعية بقيت مغلقة اكثر من غيرها منذ ازمة ١٩٢٩ .

وسنوضح الى حد ما اختلاف الاوضاع بتقديم بعض الارقام . يمثل السكان الزراعيون بالنسبة لمجموع السكان نحو ٣٠٪ في ايطاليا و ٢٠٪ في فرنسا و ١٦٪ في المانيا و ١٠٪ في هولنده وبلجيكا . وهناك امر

اشد خطورة وهو ان اسعار الحاصلات الزراعية الاساسية تختلف اختلافا كبيرا من بلد لاخر من بلدان الاسرة . فاذا اخذنا المعدل الاساسي الوسطي للسعر ١٠٠ كان سعر القمح في ايطاليا لموسم ١٩٥٨ - ١٩٥٩ يعادل ١١٣ وفي المانيا ١٠٨ وفي فرنسا ٧٤ وسعر الشمندر في المانيا ١١٩ وفي بلجيكا ١٠٤ وفي ايطاليا٩٨ وفي فرنسا ٩٤ . اما لحم البقر فيبلغ في ايطاليا ١٢١ وفي هولنده ٩٨ وفي المانيا ٩٢ وفي فرنسا ٨٦ . وتبني سياسة زراعية موحدة يبدو في هذه الاوضاع امرا بالغ الصعوبة فالمانيا بوجه خاص تتوجس من قضية فتح حدودها للحاصلات الزراعية الفرنسية التي يقل ثمنها كثيرا عن حاصلاتها مما قد يضطر الفلاحين الالمان الى مقاساة كثير من العسر في تكييف اوضاعهم . ان البلدان التي تستورد على نطاق واسع كالمانياالاتحادية او (بريطانيا العظمى) يمكنها ان تحدد لمنتجيهاالوطنيين سعرا مرتفعا لان معظم تموينها يستورد مما وراء البحار بالاسعار العالمية المنخفضة جدا و (المفروضة كيفيا) في الغالب اما التساوي بين السعرالعالمي والاسعارالداخلية فيتم بطريقة فرض الرسوم :

وتريد المانيا ، من ناحية اخرى ، وهي بلد مصنع تصنيعا عاليا ان تستمر في شراء الحاصلات الزراعية من البلدان التي بدون ذلك الا تبقى من زبائن منتجاتها الصناعية . اما فرنسا فانها بالمقابل قد اعتبرت دائما اثناء المناقشات التي سبقت السوق المشتركة ان تبني سياسة زراعية موحدة يشكل عنصرا اساسيا بين الانسجامات الاقتصادية والمالية والاجتماعيةالتي تطالب بها . فهذا التبني يتيح بالواقع للحاصلات الزراعية الفرنسية دخول اوربا الستة كلها . وهدف كهذا كبير الاهمية بالنظر لاهمية الانتاج الزراعي بالنسبة للانتاج الوطني الفرنسي وبالنظر لزيادته عن الحاجة .

وقد توصلوا في بروكسل في ١٤ كانون الثاني ١٩٦٢ الى اتفاق رغم الصعوبات التي كانت تلوح في المفاوضات ، وهذا الاتفاق ينص على حرية انتقالعدد من الحاصلات الزراعية (الحبوب ، الخنزير ، البيض والدجاج وبعض اصناف الفواكه والبقول) وعلى توحيد العلاقاتمعالبلدان الغريبة عنالسوقالمشتركة. وتتميز هذه النقطة الاخيرة بانشاء صندوق التوجيه والضمان الذي تغذيه المكوس أي رسوم الاستيراد المستوفاة عند دخول حاصلات ماوراء البحار الى السوق المشتركة . وهذه المكوس المساوية للفارق الموجود ما بين اسعار حاصلاتالسوقالمشتركةالزراعية والسعر العالمي يمكن ان تستخدم لتمويل تحويل المناطق الزراعية التي لاتقوى على المزاحمة ولتصدير الحاصلات الفائضة في الاسرة الاقتصادية الاوربية بالسعر العالمي أي بخسارة .

ومن السابق لاوانه ، والامور على ماهي عليه ، القول ان الوحدة الزراعية قد تحققت ما دامتالقرارات المتخذة في بروكسل لاتتناول الا نصف الحاصلات الزراعية الفرنسية تقريبا .

وتبقى هنالك قضية رئيسية في الزراعة هيقضية تزايد الانتاج الذي سيبطل المحاولات الواهية التي فكر بها لوضع سياسة زراعية موحدة . وقد دل تقرير حديث للمديرية العامة للزراعة في السوق المشتركة ان الاسرة الاقتصادية الاوربية ستنتج بعد بضعسنوات من الغلال الزراعية ما يفي بسد حاجاتها مما يؤديالى وقف استيراد الحاصلات الزراعية . ولا يمكن ان نتبين في هذا الحال كيف سيمول صندوق التوجيه والضمان لان ينبوع الرسوم يزول . وبذا لا تبقى هنالك سياسة زراعية موحدة ممكنة .

ان تناقضات السوق المشتركة في موضوعالزراعة تهدد بخلق العديد من الخلافات بين البلدان الاعضاء . وقد كان للقضايا الزراعية نصيب في تعثر مفاوضات بروكسل الحالية الرامية الى ضم بريطانيا للسوق المشتركة .

كان لبريطانيا العظمى قبل ان تطلب الانضمام الى السوق المشتركة موقف يختلف جدا عن موقفها هذا ومن المفيد ان نذكر به . بينما كانت بريطانيا ، على غرار الولايات المتحدة ، تؤيد اسرة الدفاع الاوربية تأييدا قويا لان وجود هذه الاسرة يتفق تماما مع الحلف الاطلسي ، بدتكخصم عنيد للسوق المشتركة منذ بدء المفاوضات بين الستة الذين اصبح يخشى ان يؤذوا كثيرا الصادرات البريطانية الى القارة باقامة جبهة جمركية موحدة . زد على ذلك ان الاندماج الاقتصادي بمضاعفته لانتاجية صناعة الستة وبالتالي لقدرة هذه الصناعة على المزاحمة الدولية سيؤدي الى مزاحمة المنتجات البريطانية في بقية انحاء العالم خصوصابعدما اصبحت الاسرة تتمتع ، على الصعيد التجاري بقوة تعاقدية لا يمكن ان تقارن بها قدرة أي واحد من الستة على انفراد .

وتنوي الاسرة الاقتصادية الاوربية ، من ناحية اخرى ، اقامة اسرة سياسية بعد بعض الوقت ، وفي هذا العمل تهديد مباشر للنفوذ البريطاني في القارة بل انه يبدو كأنه موجه ضد المملكة المتحدة .

لم تدرك بريطانيا ان السوق المشتركة تكاد تصبح حقيقة واقعة الا عام ١٩٥٦ بعد مؤتمر البندقية الذي ضم وزراء خارجية الدول الست . فاقترحت لتتفادى القطيعة مع اوربا ، ان تجري مفاوضات خبراء على نطاق اسرة التعاون الاوربية (O. E. C. E) الواسع لانشاء منطقة كبيرة للتبادل الحر . ويمتاز هذا المقترح عن مشروع السوق المشتركة بالامور التالية : لن تكون منطقة التبادل الحر اتحادا جمركيا . واذا توجب الغاء الرسوم والتقنينات الكمية داخل المنطقة فلن تطبق ، مقابل ذلك ، تعرفة جمركية موحدة على الحدود وسيحتفظ كل بلد بكامل سيادته في حقل السياسة التجارية . وهنالك ، من ناحية اخرى ، عنصر شديد الاهمية وهو ان التبادل الحر لا يطبق الا على المنتجات الصناعية بصرف النظر عن الحاصلات الزراعية . والواقع ان بريطانيا لم تكن ترغب في ان ترجع عن الحماية التي تحيط بها زراعتها كما انها كانت تود أن تستمر في تدارك الحاصلات الزراعية من بلاد الكومنولث بوجه خاص وبالسعر العالمي . وكانت اخيرا ترى وجوب استبعاد بلاد ماوراء البحار من منطقة التبادل الحر لان بريطانيا لم تكن ترغب في ان تكره على فتح ابوابها لقبول منتجات افريقيا الفرنسية والبلجيكية التي تزاحم منتجات الكومنولث . وكانت تخشى ، من جهة ثانية ، ان ترى الصناعة الالمانية تستولي على اسواق هذه البلدان . ويجب الا يغرب عن بالنا ان (افضلية الامبراطورية) كانت منذ مؤتمر اوتاوا البعيد عام ١٩٣٢ تشكل أساس السياسة التجارية الانكليزية . ولم تفرغ هذه الافضلية الامبراطورية من محتواها كله اليوم .

واذا كنا قد ذكرنا بايجاز عناصر هذا المقترح الذي لم ير النور فلان الحجج التي قام عليها لم تزل حية وهي لاتزال تحدد موقف بريطانيا من الاسرة الاقتصادية الاوربية .

كان لا محيص من ان تستمر المفاوضات حول هذه المنطقة الواسعة للتبادل الحر زمنا طويلا وقد عرفت بوجه خاص باسم الرجل الذي كان يرأس لجنة الخبراء : مودلنغ Moudling وانتهت لجنة مودلنغ الى الفشل . ففي ١٥ كانون الاول ١٩٥٨ اغلق ممثل فرنسا كوف دي مورفيل الباب وانقطعت المفاوضات .

ولم تعترف بريطانيا بهزيمتها بل تابعت المعركة ضد السوق المشتركة باقامة منطقة صغيرة للتبادل الحر وفق المخطط الذي تولت الدفاع عنه في قصر مويت La Muette وهذا العناد البريطاني بعد فشل لجنة مودلنغ مثير للدهشة خصوصا اذا علمنا ان مطلع كانون الثاني ١٩٥٩ قد سجل بدء تنفيذ التدابير الجمركية الفعلية التي اتخذت تطبيقا لمعاهدة روما . ومع ذلك فقد قامت بعد بضعة اشهر سبع دول من اعضاء المنظمة الاوربية التعاون الاقتصادي ، بناء على مبادأة من بريطانيا ، بانشاء الجماعة الاوربية للتبادل الحر . وكانت هذه الجماعة تضم عدا المملكة المتحدة السويد والنرويج والدانمارك وسويسرا والنمسا والبرتغال . وبقدر ما كانت الاسرة الاقتصادية الاوربية استجابة لواقع اقتصادي قائم قبل مفاوضات السوق المشتركة كانت هذه الجماعة من البلدان المتفرقة في زوايا اوربا الاربع تبدو كمخلوق مصطنع ليس فيه ما يبشر بوحدة اقتصادية متماسكة . كانت جماعة التبادل الحر ، على الاخص ، استجابة لمخطط بريطانيا في ان تفاوض الستة من موقع قوة .

وفي ٩ آب ١٩٦١ طلب رئيس وزراء بريطانيا انضمام بلاده الى الاسرة الاقتصادية الاوربية بعد القيام بجس نبض دبلوماسي عدة مرات . ولكن القوى السياسية الانكليزية كانت منقسمة انقساما عميقا حول مدى صواب هذه المحاولة . ومما يزيد في الانقسام ان هذا الطلب كان مبنيا على الرغبة المتناقضة في تفادي القطيعة مع اوربا ومع الكومنولث . وقد برهنت المفاوضات العسيرة التي جرت في بروكسل خلال عام ١٩٦٢ وفي بدء عام ١٩٦٣ بين بريطانيا العظمى والستة ان السوق المشتركة لا تنوي ان تقوم تجاه بريطانيا الا بتنازلات طفيفة في قضايا الزراعة والعلاقات مع بلدان الكومنولث بل كان الستة يطلبون ، الى حد ما ، استسلاما بريطانيا يؤدي لو قبل الى تفتت الكومنولث خلال مدة وجيزة .

وبدت فرنسا خلال مفاوضات بروكسل متشددة كثيرا ودلت بذلك على ان سياسة ديغول الخارجية تستعيد انضمام بريطانيا الى السوق المشتركة لان من شأن هذا الانضمام ان يثير النقاش من جديد حول التحالف الفرنسي الالماني الضامن لسيادة هذين البلدين على الاسرة الاقتصادية الاوربية . ويبدو ان قضية التعويضات الانكليزية للزراعة او قضية روابط بريطانيا الاقتصادية والسياسية ببلدان الكومنولث كانت بالنسبة لفرنسا من الذرائع التي استندت اليها لمنع توسيع الاسرة الاقتصادية الاوربية حتى تشمل بريطانيا .

وكان استمرار محور بون — باريس يطغى على كل اهتمام .

غير ان بعض اعضاء السوق المشتركة يخشون هذه السيادة الفرنسية الالمانية والفشل التام الذي مني به مؤتمر وزراء خارجية البلدان الستة الذي عقد في باريس في نيسان ١٩٦٢ للبحث في المشروع الفرنسي لاقامة وحدة سياسية اوربية (اوربا دول الجنرال ديغول) هو حادث له مغزاه . والواقع ان بلجيكا وهولندة قد جعلا من دخول بريطانيا شرطا مطلقا لموافقتها على هذا المشروع . وجمدت المفاوضات منذ ذلك الحين . وفي كانون الثاني ١٩٦٣ اعلن لنز Luns وزير خارجية هولنده من جديد ان انضمام بريطانيا العظمى هو ، بالنسبة لبلده ، الشرط لاستئناف مفاوضات الوحدة السياسية .

ولا نزاع في ان دخول بريطانيا يصبغ الاسرة الاقتصادية الاوربية بصبغة مختلفة اختلافا محسوسا عن صبغتها الحالية ، ولكنه يخيل الينا ان من الخطأ الادعاء بان وجودها سيطور الاسرة الى منطقة خاضعة لنظام التبادل الحر ، لان فرضية كهذه تغاير المقتضيات الاقتصادية لرأسمالية الاحتكار كما تسير في اوربا الستة أي في اتجاه الاندماج الاقتصادي لاقيام جبهة جمركية موحدة فحسب .

زد على ذلك انه ليس هنالك مايدعو للظن بان انضمام بريطانيا العظمى سيطبع الاسرة الاقتصادية الاوربية بطابع اكثر تقدمية كما يريد بعضهم ان يروا .

ان قوى اليسار وعلى الاخص القوى النقابية تجابه وضعا جديدا في الاسرة الاقتصادية الاوربية السداسية او السباعية بوجود بون — باريس او بدونه . وهذا الوضع يحمل في طياته قضايا اساسية ينبغي لهذه القوى تحليلها اولا ثم حلها .

ان رجعية الاندماج الاقتصادي كما يجري الآن في اوربا الستة هي امر اكيد . ولكن ذلك لا ينفي ان هذا التطور هو نتيجة مباشرة للتقدم التقني وان من الممكن ان يصبح شرطا لتقدم جديد . لقد رأينا ان تطور التقنية بالوسائل المستحدثة للتسيير الذاتي الآلي وبمنابع الطاقة الجديدة يتطلب مشروعات ذات ابعاد اكبر وبالتالي اسواقا اوسع واثبت . وهكذا يبدو ان السوق المشتركة تتمشى بالاساس مع تطور قوى الانتاج التي لا يمكن لشيء في النهاية يوقفه . ولا سبيل الى ان تتجاهل القوى الثورية والاشتراكية هذه الحقائق وتتخذ موقفا يشبه موقف العمال الذين كانوا يدمرون المحركات في عصر الثورة الصناعية الاولى . ولا يسوغ ان نتمسك بموقف وطني معاد للاتجاه الاوربي مما يقودنا الى التحالف مع اشد القطاعات الصناعية والرأسمالية تخلفا ، تلك القطاعات التي تتلمس البقاء في كنف التعرفات الجمركية والتقنينات التي تفقد مع ذلك جدواها شيئا فشيئا . ويقود هذا الموقف نفسه الى الدفاع الاناني عن بعض الامتيازات الوطنية في حقل الاجور والتشريع الاجتماعي ضد مزاحمة شغيلة البلدان الاخرى مع ان القضية تقتضي على العكس تسهيل امتداد هذه الامتيازات الى مجموع شغيلة السوق الاقتصادية الاوربية .

ويخشى ان تصبح الوطنية شركا للشغيلة بينما تبرهن البرجوازية والارهاط الاحتكارية انها تعلم كيف تتجاوز الحدود عندما يكون في ذلك خدمة لمصالحها . لقد برهنت التحالفات الاقتصادية وقيام الشركات الرأسمالية ذات الطابع الدولي ، منذ زمن طويل ، ان نظام الانتاج والتسليف في العالم الرأسمالي المعاصر لا يمكن ان يسجن نفسه في النطاق الوطني .

وفهم كبار اربات العمل الوضع الجديد فهما تاما فألفت منظمات ارباب العمل من السنة الاولى للسوق المشتركة « امميات » يمتد سلطانها الى البلدان الستة ومن العسير ان نذكرها كلها فعددها كبير جدا ولكن بعض الامثلة توضح الامر : فاتحاد صناعات الاسرة الاوربية (U. N. I. C. E) ويضم اتحادات ارباب العمل في البلدان الستة ومركزه بروكسل . وقامت منظمات اخرى اشد التصاقا بالاختصاص مثل اللجنة الاوربية لتعاون صناعات المحركات — الآلات ومركزها بروكسل والاتحاد الاوربي لمواد الاشغال العامة ومركزه باريس .

ولا يمكن القول ان الحركة النقابية في اوربا الستة قد اخذت بالاسلوب نفسه في رد فعلها على الموقف الجديد القائم وانها برهنت على قدرتها على مواجهة القضايا المطروحة بابعادها الجديدة . ومرد ذلك خصوصا الى انها لم تنجح ، بوجه عام ، في وضع تصميم نظري للتطور الاقتصادي مقدما .

ان اتخاذ موقف سلبي شامل تجاه الوضع الجديد غير كاف . صحيح ان السوق المشتركة تزيد من حدة القطيعة السياسية بين شطري اوربا وانها نمت في نطاق (وبفضل وجود) الحرب الباردة وانها اتاحت قيام تمركز احتكاري عجيب ولكنها في الوقت نفسه جعلت للمنظمات العمالية اطارا دوليا يمكن ضمنه للنضالات

النشـــاط الفني

موسم المعارض

* تأخر موسم المعارض الفنية الفردية لهذا العام عن موعده تأخراً ملحوظاً ، فكـانت اكثر المعـارض الفردية في نهاية الموسم ، اذ قدمت صالة الفن الحديث العالمي بدمشق برعاية وزارة الثقافة والارشاد القومي في هذه الاشهر الثلاثة الاخيرة نيسان وايار وحزيران: معرض كمال الدين حسين وهو ذو اتجـاه سيريالي خاص•ثم معرض الفنانة اقبال قارصلي دمن التأثيريين، ثم معرض الفن التجريدي الحديث للفنان الايطـالي تروتي ، ثم معرض الفنان نبيل المـالح ثم معرض فن الحفر للفنان غياث الاخرس وهـو اول معرض من نوعه لفن الحفر ، ثم معرض الفنان غازي الخـالدي وقد ضم المعرض ٨٣ لوحة من اعمالـه خلال خمس سنوات •

* وبرعاية وزارة الثقافـة ايضـاً اقيم في المركز الثقافي العربي معرضين الاول لجمعية اصدقـاء الفن للرسم والنحت ، والثاني للفنان المثال سعيد مخلوف• وكذلك اقيم معرض الفنان خالد معاذ في منزله برعاية الوزارة •

* ولاول مرة يقام في سوريـة معرض لافـلام الرسوم المتحركة (افلام كرتون) بالالوان للفنـان الشاب زاهر عقيلي في مركز الفنون التطبيقية بدمشق، وقد عرض الفنان في هذا المعرض محاولات جديةلعمل قصص هادفة لافلام الكرتون ، ثم تصوير احداها في وزارة الثقافة وقد كانت محاولة ناجحة جداً •

* انتقل الى الجزائر معرض لاشهر الفنـانـين السوريين في حدود مئة لوحة زيتية وسيفتتح المعرض هناك برعاية وزارة الثقافة الجزائرية والسفير السوري في الجزائر وقد رافق المعرض مدير الفنون التشكيلية في دمشق الاستاذ عفيف بهنسي •

* اقام المجلس الاعلى لرعاية الآداب والفنـون والعلوم الاجتماعية معرضه الثاني في اللاذقية في النصف الاول من شهر حزيران سنة ١٩٦٤ واشترك في هـذا المعرض اكثر الفنانين السوريين•وقد اختيرت اللوحات من معرض الربيع المقام في حلب •

* كليـة الفنـون الجميلـة بـدمشـق ، تخرج من عزلتها لاول مرة بـاقـامـة المعرض الاول لانتاج طلبة الكلية في المتحف الوطني وقد ضم المعرض اعمال مختلفة لجميع اقسام الكليـة من هنـدسـة معمارية ، الى تصوير ، الى ديكور ، الى نحت ، الى حفر ، الى طباعة ، الى فرش ، الى فسيفسـاء وقـد استمر المعرض اكثر من خمسة عشرة يومـا واختتم يوم ١٥/٦/١٩٦٤ •

الاقتصادية والسياسية ان تكتسب ابعادا جديدة وقوة جديدة وميدانا جديدا يستطيع التضـامن العمالي ان يؤثر فيه تأثيرا عميقا .

وقد حصلت الطبقة العمالية على نتائج من هـذا القبيل حتى ضمن نطاق اسرة الفحم والفولاذ المحدود. فبالتذرع بالاربعين ساعة الفرنسية نجـح المعدنون الالمانيون في خفض ساعات الدوام من ٤٥ الى ٤٤ بل الى ٤٢ ساعة في بعض الحالات وتوصل عمال مناجم المرور بعد قليل الى الفوز باربعين ساعة وبخمسة ايام عمل في الاسبوع .

ان قيام السوق المشتركة على نطاق واف من السعة وبين بلدان على مستوى عال من التصنيع يوفر الشروط الموضوعية للنضال الطبقي على مستوى فذ في علوه ويمكن ان يفتح افاقا جديدة امام الاشتراكية وتوحيد الحركة العمالية . ينبغي لنا ان ندرك ايضا ان السوق المشتركة هي الآن وبشكل قاطع ميدان النظام الرأسمالي الـذي يجب ان ينحصر فيه النضال . وانكار ذلك يعدل انكار النظام الرأسمالي نفسه .

عن مجلة الازمنة الحديثة العدد رقم ٢١١ تاريخ كانون الاول ١٩٦٣



للشاعر الكبير

وصفي قرنفلي

عــالم بكر ، والـوان عـــذارى
يتراءين ، على الهــدب ، حيــارى
زفّهن الحلــم ، أغــواهن فــاتنه
قن للحلم ! وهوّ من سكـــارى
وتعــريــن ، علــى ضفتـــه
وتعــرى ، وتطــايرن ، وطـــارا
غمــن في رفــرفـــه في زرقـــة
حلــوة • ضمت جنــاحيهــا إطارا
زورق ، عبــر الرؤى مستســلم
غمس المجـذاف ، في النّور وسارا
هــالـــة مبهمـــة ، هــائمـــة
عقــد الطيب حــواليهــا ، ومارا
تمتم الثغــر • فزافت • ودعـــا
فاستدارت • واستهلت • واستدارا
هزهــا • فــانسربت في حضنــه
تــوقظ الشهد • وتغري الجلنــارا
دغــدغت برعمـــه • فاستيقظ البر
عـم الأحمــر • وانشــق ونــارا
مــدّ لــلأحــلام • في نشــوتــه
شفة حيرى • واشــواقــاً حيارى
قبلـــة بكر ، قـــد التفّت على
شفــة بكر ، واهــداب عــذارى
شفــق ســاج • ولحن نـــاعــم
ايقظا • في غفوة الليل • النهــارا
يقظـــة الجسم ، نـــداء لايعي
ضجّ •خلف النضج•شوقاً وانتظارا

امرأة من برلين

قصة

* بقلم: نزار مؤيد العظم

أنهى دكتور شتاركولا من خدمته في تاريخ الصحافة وترك المنبر وسط ضجة لطيفة أثارتها للحظات ، ضربات قبضات الطلبة فوق المقاعد ، تؤدي التحية التقليدية المتبعة إزاء الاساتذة في جامعة لود فيج بمونيخ .

انبثق من القاعة الكبيرة سيل الطالبات والطلاب ، عبر مجاز معتم رحب ، ينتهي الى بهو رخامي الارض ، مقبب السقف ، ينهض وسطه تمثال من البرونز ، لشاب عاري الجسم ، مفتول العضلات .. يطل على درج عريض ، ينحدر الى الطابق الارضي ، حيث تبدو حركة الغادين والرائحين نشطة مستمرة .

دلف خالد الى مكتبة كلية الصحافة ، يبحث عن بعض المراجع ، وحين غادر المبنى الكبير ، كان الليل ينشر رداءه ، والثلج يسّاقط بغزارة شرسة ، والريح القارسة تطوح بنثراته ، فتلعق وجوه المارة ، وترصع قلنسواتهم ومعاطفهم الثقيلة . وكان ثمة قناديل جلدية ، تتدلى من صحني نافورتين هائلتين ، تنهدان داخل بركتين ، تتوسطان الساحة الجامعية الفسيحة التي يخترقها شارع ليوبولد بمصابيحه التي تعكس أضواءها الناصعة عليها ، فيصدر عنها لألاء أخاذ قزحي ، لم يستطع قتام الجو حجبه عن الاعين .

استشعر خالد رغبة جامحة لتحدي الثلج ومعاكسة الريح الوحشية ، كأنما يريد ابتكار وسيلة يطرد بها التهيب الذي يعانيه أمرؤ وافد من الشرق الدافىء ، لم يألف من قبل هذا المناخ المدلهم ... فأعطى وجهه للفحات الهواء والثلج ، واندفع يغذ السير ، وقدماه تغوصان في الابيض المندوف ، حتى وافى ميدان شتاخوس .

كان السأم يرهق روحه ، ومرارة الاغتراب والتوحد ، تلبد على صدره كحمل ثقيل .. فلقد امضى قرابة الشهر في العاصمة البافارية ، ما استطاع خلاله ان يحظى بصديقة ، أو صديق . وكان يصرم اوقات فراغه متسكعا أمام واجهات المحال التجارية ، يتأمل معروضاتها الانيقة المغرية ، ويتسلى بمراقبة العابرات ، أو يلج مقصف « الماتيزر » حيث تتجلى التقاليد البافارية الاصيلة ، داخل صالة كبيرة ، تتدلى من سقفها المزخرف بنقوش شعبية فاقعة ، ثريات ضخمة قديمة ، تسكب اضواءها على رايات المقاطعات الالمانية المثبتة على الجدر ، وعلى موائد طويلة خشبية عارية ، يتحلق حولها حشد من الناس ، لا يقل باستمرار عن ألف شاربة وشارب ، يعبون البيرة من أقداح زجاجية كبيرة ، لها مقابض مضلعة ، تستوعب ليترا من الشراب الذهبي المفضل ... على انغام مارشات عسكرية ، تعزفها بحماسة فرقة نحاسية ، يرتدي رجالها السراويل الجلدية القصيرة ، والقمصان الريفية

المزركشة ، والقبعات الجبلية المزينة بريش ملونة ، تقودهم احيانا امرأة يسمونها « أم الماتيزر » تتمتع بحيوية خارقة ومرح عجيب ، وتوزع قبلاتهاعبرالهواء على الجمهور المعربد ، رغم انها جاوزت السبعين من عمرها •

ترك ميدان شتاخوس ملولا ، وانعطف الى شارع يؤدي الى محطة السكك الحديدية ، وفيما كان يهم بدخولها ، مرت أمامه فتاة بارعة الحسن ، توقفت قبالة واجهة محل للفراء مضاءة لتتأمل باهتمام معطفا من الفراء ثمينا ، كتب على رقعة مقوى تحته عبارة « ٥٠٠٠ دوتش مارك » •

راقه ان يراقبها ليرى ردة الفعل التي تثيرها لديها رؤية هذا المعطف الرافه ، فاقترب منها ، ونفض رذاذ الثلج المتراكم على نظارتيه ، وتظاهربمشاركتها التفرج ، بينما كانت عيناه تختلسان اليها نظرة فضوليةفاحصة •

كانت مقرورة ترتجف ، وثمة مسحة من الحزن ، تشوب وجهها الشاحب ، وكان جسدها الفارع ، بصدره المكوز ، وجيده الاغريقي ، يختفي وراء معطف واق من المطر ، ماكان بوسعه توفير الدفءلها•

لم تعره أيما التفاته ، فقال لها خجلا :

ــ ثمين هذا المعطف ••• أليس كذلك ؟ ؟

بدت كأنها فوجئت بتطفله غير اللبق ، فالتفتت اليه ، ترمقه بنظرة امتعاض وتزوي ما بين حاجبيها••• ثم استدارت تمشي ، وهي تهز كتفيها استخفافا ، وتغمغم بكلمات لم يفهمها • ازعجه سلوكها ولامبالاتها ، فكاد ان يلحق بها ، بيد ان ضابطا مافي خلده ، لجم اندفاعه ، فهز بدوره كتفيه ، وقصد مطعما في صالة المحطة ، يقدم وجبته الرخيصة في صحون كرتونية ، فوق براميل بيرة فارغة ، يتناولها الزبائن وقوفا • واذ شرع يلتهم قطعتي النقانق المشوية ، كانت صورة تلك الفتاة تراود خياله ، ملمة في خطورها ، قوية في ملامحها ، فتبعث في أوصاله قشعريرة لذيذة دافئة ، تكسر حدة الكآبة التي كانت تعتريه •

وخلف المحطة من مخرجها الجنوبي ، يستحث خطاه أمل في ان يعثر عليها ، بعد ان ألقى نفسه أخيذ شيء مجهول خفي يتماوج في عيني تلك الفتاة ، فطالعه شارع طويل ، تنهض على جانبيه بارات ومراقص ، تعلو واجهاتها اضواء كهربائية زاهية جذابة ، ترسم رموزا واشكالا واسماء كثيرة ، يغص رصيفاه بحشود من الجنود الامريكيين السكارى ، والغرباء الوافدين على المدينة الصناعية من مختلف انحاء العالم ، كان بعضهم يشاكس نسوة متعبات الوجوه مغرقات في التبرج ، كن يخرجن من البارات أو يدخلها • واخيرا توقف امام حانة ، تقدم نوعا من البيرة الثقيلة أثيرا لديه ، فتبسم الساقي له وراء المقصف ، يغريه بالدخول ، فدلف اليه ، واعتلى كرسيا مرتفعا لدى المقصف ، وابتدر الساقي :

ــ قدح بوك بير •• من فضلك •

وانطلقت عيناه تسبران المكان ، بحثا عن وجه صبوح ، وحين رفع الكأس الى فمه نفذت الى الحانة تلك الفتاة ، فشرق ، وسعل ، وأبعد القدح ، وهو يحس باضطراب يعتريه وبرعشة تنفل في اوردته • وجالت الفتاة بطرفها ، كأنما تبحث عن شخص ، حتى وقع نظرها عليه ، فتكلفت تجاهله •• لكنها أقبلت ، فاتخذت مجلسها بجانبه ، وراحت تحدق ملهوفة بأطباق الطعام المرصوفة امام الساقي •

بدا له ان يتجاهلها ، رغبة في اغاظتها ، ولينتقم لنفسه من اعراضها عنه قرب المحطة ، وفجأة ، شعر بيد

تلامس كتفه برفق ، وبأنفاس مخمورة تلفح وجهه :

ـ هل تقدم لي أيها السيد قدح ليكورن ؟

التفت اليها مذهولا ، فراعه شحوب وجهها ، والرجاء الذليل الراشح من عينيها .. كانت لا تزال ترتجف من وطأة البرد ، وتخفي يديها داخل جيبي معطفها ، وترسم بسمة باهتة على شفتيها المصبوغتين بحمرة تحاكي لون الفريز . وعادت تسأله :

ـ ها ... أموافق أنت ؟

غرق لحظة في بحيرتين زرقاوين ، تحنو عليهما أهداب طويلة ذهبية ، يعلوها جبين عريض ، تتراقص عليه خصلات من شعرها المنسدل فوق كتفيها كشلال من الابريز ، كانت ترنو اليه لهوفا ، تنتظر جوابه . وحاول ان ينعتق من ذهوله وسكونه ، لكنه استشعر في صمته لذة عنيفة ، فاستسلم لها ، تكتنفه ، وتتسرب الى دمه ، هدهدات ساخنة .

ود لو يقول أي شيء .. أن يستجيب لرجائها .. ان يطمئن توقها لقدح الليكورن ... ان يطلب لها عشاء يوقف تحلب ريقها وسغبها ، بيد انه عجز وتبلد ذهنه ، فقطبت جبينها خائبة ، وأشاحت بوجهها عنه ، تهم ان تغادر مجلسها ، لتبحث عن رجل آخر ، يلبي رغبتها وغمغمت بحنق :

ـ تزوم دونر فيتر[1]

رفع يده ، فأمسك بكتفها ، وأسعفه النطق أخيرا :

ـ ستنالين القدح يا آنسة .

انفردت أسارير وجهها عن بسمة أضفت على محياها الحزين الغامض ، مسحة براءة رائعة وفركت يديها ابتهاجا ، ثم أشارت للساقي ، فأقبل يصفع وجهها بعبوس جارح . قال له خالد :

قدح ليكورن للآنسة .

هز النذل رأسه ، محاولا اخفاء امتعاض شاب قسماته ، وانقلب الى رفوفه يعد الطلب . وقدم خالد لفافة للفتاة وأشعلها ، فضغطت على ساقه براحتها وقالت :

ـ أظن ان الصدفة وحدها جعلتنا نلتقي ثانية : ..

ولفت ساقا على ساق ، فبرز من تحت ثوبها القصير الضيق قسم كبير منهما ، اجتذب عينيه ، فانغرستا في هذه الفتنة العاجية الناصعة ، لاتبرحانها ، وعادت تسأله :

ـ ما اسمك أيها السيد ؟

تنحنح ، لينسلخ عن شروده وأجابها :

ـ خالد ...

ـ عربي انت اذ ن..؟؟ حسنا .. اسمي ايريكا .

ردد كالمأخوذ :

ـ ايريكا ... اريكا ... اسم جميل مثل صاحبته .

تضاحكت ، وعقبت :

ـ شكرا ... أنت لطيف ووسيم ... لقد سمعت كثيرا عن فروسية العرب ... وليالي الشرق الحالمة .

قال والحنين الى وطنه يعتصر مهجته ، ويشجيه :

ـ قد أحدثك عنه ذات يوم ... اذا غدونا صديقين ... قد أحدثك عن الشرق وأحاسيسه .

واقبل الساقي يضع أمامها القدح ، فتناولته ، وامتصت رشفه من سائله الاصفر اللزج .. وهي تلتهم بمقلتيها اطباق الاطعمة ، فقال خالد :

ـ آنسة اريكا .. تقبلين دعوتي للعشاء ؟ ؟

بدت الدهشة على محياها ، وتفرست في وجهه ،

---

[1] تزوم دونر فيتر ـ دعاء يستعمله الالمان بمعنى : الى الطقس العاصف ، كما نقول : الى جهنم

كأنما لا تطيق ان تصدق ، وتساءلت :

ــ أنت لا تعرفني ، ومع ذلك تدعوني للعشاء ..

ــ بوسعك ان تطلبي ما تشائين يا آنسة ... لقد أصبحنا صديقين .

اعترى وجهها التأثر ، مشوبا بالشفقة ، وقالت :

ــ يبدو لي أنه ما زال في هذا العالم التعس أناس طيبون ... قل لي .. أتقدم لي وجبة دون مقابل ؟ ؟

ــ ماذا تعنين ..؟؟

ــ أعني ان لكل شيء هاهنا ثمنا يدفع ... مامن أحد يطعم أحدا بدون مقابل .

ــ أليس معقولا ان يدعو رجلا صديقته لوجبة؟؟

ــ انك تتحدث عن نوع من الصداقة لم يعد لــه وجود في هذا العالم المجرم .. اسمع يا صديقــي لا تتصنع البراءة ، ولنكن صريحين .. لقد اعترضتني عند المحطة ، وهذا يعني أني أروق لك ، يعني أنك تريدني .. تشتهيني .

صعقه قولها وآلمه ، فرشف من قدحة جرعةكبيرة، وعقب مكفهر الوجه :

ــ اهكذا تفهمون الصداقة ؟ ؟

اطلقت ضحكة عالية تمور بالسخرية ، وأجابت :

ــ يا صديقي الطيب .. انت في شارع غوته .

وداهمت طبق الطعام الذي وضعه أمامهاالساقي ، تلتهمه بشراهة ، فيما راح خالد يتأملها ، وطلبلنفسه قدحا ثانيا ، واستسلم لتأولات تمطت في خلده .

من تكون هذه المرأة الغريبة ؟ ؟ ما عساهاتظنه ؟؟ لم تسخر من اقواله ؟؟ وهذا الساقي..لم حدجهبنظرة اشفاق ممتعضة ؟ ؟ أتكون هذه الفتاة احدى بائعات الهوى ؟ احدى صائدات الرجال الشاردين الباحثين عن ليلة حمراء ؟؟ انها جميلة بل رائعة الحسن فيتقاطيع وجهها سرا يجذبه ويستهويه .. يسمره ويسلبلبه .. إنها لا تبــدو في براءة عينيها ومسحــة الحزن التي تشعر بهما كبائعات اللذة المتعبات الوجوه ، ذوات النظرة الوقحة والحركات الداعرة ... وليسألها من تكون ؟؟ وليحدد موقفه الليلة منها .. ليضع حــدا لسخريتها .

قالت له بعد ان اتت على الطعام :

ــ شكرا ... والآن علي ان اذهب ... أتذهب معي ؟ ؟ .

ــ الى اين ؟ ؟

اشارت بيدها الى الخارج :

ــ انظر ... هناك ، في المرقص المقابل ، اعمل ساقية ، واصطاد الرجال .

تملكته خيبــة مرة ، واشمئزاز اعتصر احشــاءه ، فخفق برأسه قائلا :

ــ اذهبي لوحدك يا اريكا .

ــ غريب امرك ... انت لا تريدني اذن ... أما أنا فأريدك حقا .. لقد اعجبني فيك قلبك الطيب .. وسمرتك الشرقية ، ورجولتك الوسيمة .. اسمع بوسعنا ان نلتقي بعد ان انتهي من عملي ... تلك فرصة اعرضها عليك بلا مقابل تماما كما قدمت لــي كأساً ووجبة عشاء .

اشتد وجيب قلبه ، وضربات صدغيه ، وبحركة لا إرادية ، رفع يده ، يريها خاتم الزوجية في بنصره ، يلمع ويتوهج ، فقهقهت ، وضربت كتفه برفق .

ــ هذا أدعى للمسرة ، فالمتزوجون أقدر على اقناع المرأة ... انتظرني هنا حتى الساعة الواحدة .

ونزلت عن كرسيها،وانطلقت رشيقة المشية ، تعبر الشارع ، وابتلعها مدخل المرقص المقابل . وطرق مسمع خالد صوت الساقي:

ــ أتنتظرها حقا أيها السيد ؟

فاجأه فضول النذل ، يحشر أنفه في أمر ما كـان له ان يهتم به ، ولمح في عينيه بريق عطف ، فكتم غيظه وسأله :

ــ ما ترى انت ؟؟

اجاب وهو يزيل بمنشفة بعض قطرات من البـيرة انساحت فوق رخام المقصف :

ــ انها لن تحضر •• أنا أعرفها جيداً ••• نصابـة محتالة من الطراز الأول ، شأنها شأن نساء هذا الشارع اللعين •• كل يوم لها ضحية •• وانـك لتبـدو لي انسانا ذا نبالة وشهامة وطيبة قلب ، لا يليق بـه أن يؤم هذا الشارع الفاسد القذر ••• شارع علب الليل والبغايا •• شارع اليهود السفلـة الـذين يسلطون بغاياهم على الوافدين الغرباء ، ليسلبوهم المال ••• نساء هذه العلب ما هرات في مراوغة الزبائن والفرار منهم آخر الليل الى احضـان عشـاقهن ••• اذهب ياسيدي بعيداً ، حذار أن تعود ثانية الى هـذه البؤرة النجسة •

استهوته حماسة الساقي الاخلاقية • فقدم له لفافة ، وسأله :

ــ اليس عجيباً أن يسمى هذا الشارع الفـاسق باسم ذلك العبقري غوته ؟؟

ــ في الحياة مفارقات عجيبة أيها السيد •• كنت في صباي مرشحاً لأن أصبح قساً في الكنيسة ، ومـع ذلك تجدني اعمل هنا ساقياً •

وناداه زبون ، فابتعد ، وابتلع خالد عمالة كأسه ، وغادر الحانة وخواطر ممضة ترين على عقله فترهقه ، وفراغ قاتم يجوف فؤاده • ووجد نفسه يتنقـل من حانة لأخرى ، ويعب الخمرة فلا يرتوي ، حتى ران السكر على رأسه وخدر أوصاله ، وقادته قدماه ثانية الى تلك الحانة ، والساعة يقترب عقرباها من الواحدة ، فولجها ، وعيناه عالقتان على مدخل المرقص المقابل ، واذابصره الساقي ، هز برأسه ولوى شفتيه •

كانت الخمرة قد أذكت شعلة الرغبة في كيـانـه ، وأخمدت ضوابط ضميره ، ونفثت ضباباً كثيفـاً ، حجب عنه طيف زوجه التي تركهـا في دمشق ، قبل بضعة أشهر ، أطهر من سحابة بيضاء ••• وأخـيراً ، برزت اريكا من الملهى ، وتطلعت حولها ، ثم عبرت الشارع ، فهب اليها ملوحاً بيده ، واستوقف سيارة ، فركباها صامتين ، وانطلقت بهما وسط زحمة الشارع ، فيما كانت الاضواء الملونة تتثاءب وتنطفيء تبـاعاً ، وقالت اريكا للسائق :

ــ شفا بنيك •• شارع جيورجن ــ رقم (•••) •

والتصقت بخالد ، تستمد الـدفء من راحتيـه ، وهمست في اذنه متلعثمة :

ــ كنت واثقة من أنـك ستنتظرني ••• ألم أقل لك : لا شيء بلا مقابل •

انتابه احساس بالخزي ، ايقظ عقله وهز اعماقه ، فأشعل لفافة ، وراح يدخن بصمت والسيارة تمضي ، حتى وصلت بفيتها ، وتوقفت ، امام بناء قديم ضخم ، تحيط به حديقة فسيحة ، وترجلا ، وامسكت بيـده تجذبه قائلة :

ــ ادخل دونما ضجة •• ان سكـان العمـارة يكرهونني ••• يتربصون بي •• تعساً لهم ما أسخفهم •

وصعدا درجاً خشبياً ، حتى وافيا الطابق الثـالث ، ففتحت اريكا باباً ، ولجا عبره الى ممر قصير ، ينتهي الى غرفة ، اضاءت مصباحها ، وأوقدت مدفأتها ، ثم فتحت خزانة وأخرجت منها زجاجة نبيـذ وكأسين ، قائلة :

ــ هو خالد •• انت محظوظ جداً •• ان عشيقي

مسافر في سالسبورغ ، وبوسعنا أن نلهو مطمئنين •
وحين بدأ الدفء يشيع في الغرفــة ، شرعت اريكــا تتعرى ، وأخيراً ، تمددت على سريرها بوضع مثير ، ونادته :

ـ خالد •• تعال فاجلس بجانبي•••ما زلت بردانة•

تطلع الى جسدها الفتي العاري ، يسور بالفتنــة ، وود لو ينهض فيغرق في سحره ، لكنه أحس كــأن قوة خارقة تلصقه بمقعده ، وتلجم حركته ، فانتهرته

ـ ما بالك ••• قلت لك اني بردانة ••

اشار لها بيده وارتعش صوته :

ـ تلفعي باللحاف يااريكا•••وحديثني عن نفسك•

ـ ياللغباء ••• اقدمت الى مخــدعي ، والصبح يوشك ان يتنفس ، كي تسألني عن سيرة حياتي ••؟

خفق برأسه وهو يستشعر الغيشــان ، وخرج من الصراع مع ذاته بقرار حاسم ، فقال :

ـ لن أمسسك يااريكا •• حديثني عن نفسك •

ونهض ، فامسك بالغطــاء الصوفي ، ونشره على جسدها ، ثم تهالك على أريكــة بجانب سريرهــا ، فتنهدت ، وقالت :

ـ ما ذا يهمك من حياتي أيها السيد ؟ انها تافهة•• انها مهزلة حمقاء ، في عالم لاخير فيه أتريد ان تعرف من أنا ؟؟ أنا نطفة دنسة ، بصقها مجهول في احشــاء أمي ، عشية اجتاح الفــاتحون برلــين •• عشيــة استباحوها •• عشية افترسوا كل من تبقى من نسائها التعسات ، في ذلك اليوم اللعين،داهم بيت أمي عشرون جندياً ، كانت عذراء كزهرة التوليب ، فحاصروهــا ، وأشرعوا حراب بنادقهم فوق صــدرهــا ، وتعاوروا عليها •• ثم تركوها غرقى بعارهم الوحشي ، فكنت انا حصيلة مجهولة المنشأ ، ثمرة نطفــة من مليارات النطف التي زرعت في احشاء أمي •• ورأيت نــور الحياة ، وسط خربة مهجورة ، والجوع ينهش معدة أمي ، والخوف يمزق روحهــا ، وحين بــدأت أعي وجودي ، تلفت حــولي كثيراً ، أبحث عن أب لي ، فما حظيت من أمي بجواب صريح ، حتى شعرت أنها تواجه الموت ، فقالت لي : « يا ابنتي •• حتى أنــا لا أعرفه ، لقد كانوا عشرين يا اريكا » •

وارتحلت عن برلين فراراً من دنيا لا أعرف لي فيها أباً ، وتصميم عنيد يستحث خطاي ان أنتقم لأمي من رجال الأرض قــاطبــة •• أن أسحقهم •• أن اغرز أظافري في عيونهم وأدوسهم بقدمي ، واذ أحسست بأثوابي تضيق بصدري الناهد ، وبالاحلام الحــارة تهز كياني ، سلمت نفسي لأول عابر سبيل ، واتخــذت من ثم صناعة البغي حرفة اعذب بها الرجال وأذلهم•• أجل لقد ماتت نوازع الرحمة من قلبي منذ زمن بعيد، وفقدت كل اعتقاد بوجود الله وبقيم الخير والفضيلة•• تلك هي قصة حياتي ••• تلك هي المهزلة ••

وانفجرت تبكي بلوعة ، ثم اطلقت ضحكــة رهيبة هيستيرية ، تغالب بها تمزقها ••• ورفعت اللحــاف عنها بعصبية وقالت بصوت مخنوق :

ـ أجل هذه هي قصتي أيها الــذئب ••• هــل أثارتك ؟؟ هل حركت الشفقة في قلبك ؟؟ لا عليك ••• تعال الي لتخرس عواءك •• لن تدفع شيئاً مقابل ذلك•

كانت اللفافة تتثاءب منسية في المنفضة ، والريــح الثلجية تئن في الخــارج ، ولهيب المــدفــأة يتراقص مرخياً ظلاله على الجدر ، والجسد العاري ، والشعر الذهبي المشعث •• وألقى خالد نفسه يواجه اعصــارا من الالتياع والاسى ، يتحلق به ويدمي فؤاده ومــد يده يتحسس رقبته كانسان يعاني الاختناق ، ثم طفرت دمعتان من مقلتيه • ونهض متثاقلا يجرجر قدميــه ، وانبثق من باب العمارة الكبير ، ليواجه أولى خيوط الفجر •

دمشق نزار مؤيد العظم

امرؤ القيس والعذارى

شعر ياسين الفرجاني

ماذا أيبلغ في الهوى المأمولا
أم قد يؤوب متيما مخذولا

وافي الخليع غدير جلجل واتتحى
ركنا يقيه من الهجير ظليلا

متعطش النظرات يلتهم الثرى
في ناظريه الى الغدير سبيلا

ودنون تخفر بينهن يد الصبا
حسنا وتصدق بينهن ميولا

من كل ممراح سبت عشاقها
قولا أغن وناعسا مكحولا

ألقين بالحبرات فابتسم الهوى
للعرى ، نديان الحديث ، بليلا

ثم انحدرن الى الغدير عرائسا
ألبيد لم تعرف لهن مثيلا

فافتر ثغر الماء وانداح الشذى
في أفقه الساجي يرف عليلا

سكر الضحى جفنا وأتلعت الربا
جيدا لمرأى عريهن طويلا

يمرحن نهدا ثائرا متوثبا
ويلحن ثغرا باسما معسولا

يا للعذارى الفاتنات محاسنا
الساحبات اباءهن ذيولا

الناسجات البشر من ألق السنى
المرسلات شعورهن أصيلا

المبديات السحر لو لمس المنى
لمسا لزاد جمالها تجميلا

الراشقات الماء سجعة ساجع
فكأنما رتلنه ترتيلا

يدفعن حينا بالأكف رذاذه
ويملن حينا ميلة تضليلا

للقهقهان الهوج أسهم رائش
دجه الزكي غدا لها مطلولا

تدنو من الاسماع رعناء الصدى
وتغيب في دنيا المراح فلولا

صور تهدهد جفنه مخمورة
وتذيب منه فؤاده المتبولا

فيود لو أن اللحاظ رمينه
عمدا فكان فداءهن قتيلا

ويهب كالملسوع ينتعل الونى
حذر الخطا ، متمهلا ، مذهولا

حتى اذا جمع الثياب رمى بها
في مأمن عنهن عز دليلا
وخرجن يبغين الرجوع الى الحمى
حورا مثلن من الجنان مثولا
فذعرن اذ قدرن أن يدا سطت
تنوي لهن مكيدة وذحولا
يا للظباء النافرات كأنما
ملء المسارح جفلت تجفيلا
يلجأن عل الماء يلقي حائلا
دون الرقيب على القدود سدولا

★ ★ ★

ظهر الخليع يجر ذيل غروره
جرا ويشبع ناظريه فضولا
ساومنه بعض التسامح ربما
يلقين في عطف « المليك » قبولا
فأبى عليهن الرجاء مسوفا
ماقد رجون وما أصاخ قليلا
هزىء الشقي بكل قربى لم يكن
فيما يرام من النبيل نبيلا
شاء التمتع بالجمال وقد سبت
فتن الجمال الشاعر الضليلا
وأراد أمرا ، صبرهن على أذى
لقراعه رغم التجلد عيلا
فرضين حين رأين أن لاحيلة
تجدى لفك اسارهن فتيلا
اقبلن واحدة تغض جفونها
حذر الرقيب وترتجى التعجيلا
وتعوذ أخرى باليدين فتتقي
نهما تبوح به الرغاب وبيلا
ظل العذارى يتثلن أمامه
حتى انتهين وما نقعن عليلا
الا مليحتهن آلت عفة
ألا تمكن شامتا وعذولا
الصبح ضرج وجنتيها فتنة
ودنا فأوسع ثغرها تقبيلا
يغلي الدم الفوار في أوداجها
حقدا وترسل أسهما ونصولا
دارت بها الأوهام لاتلوى على
أمل يعلل نفسها تعليلا
للماجن الصعلوك شيمة فاجر
في قومه لاتعرف التأويلا
أخذ الطريق على تخيل ظنها
حتى لقد ناءت به تخييلا
ومن الحماقة أن يزيد بلاءها
سخرا على سمع العفاف ثقيلا
ليت الأماني مالأتها برهة
قلبا أصم وساعدا مفتولا
لرمته بالخطب الجليل ونكلت
بفتى المجون ـ وقد طغى ـ تنكيلا
لكن وقد أضحى عصيبا يومها
كالدهر أبطأ لايريد أفولا
لابد أن ترضى فليس لمثلها
حول تذود قضاءه المسلولا
فأتته حانية الجبين كسيرة النظـ
ـرات ، غضبى تستهين قبيلا
أخذت بمخضوب البنان ثيابها
خرساء تعثر بالحياء ذلولا

ومضت لها عذر الحسان بأن يرى
أهل الهوى عيب الجميل جميلا

★ ★ ★

لبنات كندة في الحديث حلاوة
تسبي وتغري أنفسا وعقولا
ولهن في عنق ابن كندة منة
كبرى فماذا لو يرد جميلا
ولنعم رد الدين يقضي عاجلا
لا آجلا يرجى ولا ممطولا
ماذا عليه اذا قرى أضيافه
ان القرى حسد يظل فضيلا
ولكم دعا للزاد ملتمسا له
في كل ربع حل فيه أكيلا
وعلى الكريم أحب شيء أن يرى
دوما جزيل طعامه مأكولا
طبع تورثه البداة فزادهم
شرفا على شرف وكان أصيلا

★ ★ ★

أهلا بهن حسان كندة فالقرى
واف اذا شئن الغدير مقيلا
هذي ذنولي يا عذارى كندة
عجلن أنحرها لكن عجولا
وبمثل لمح الطرف سل مهندا
عضبا من البيض الصفاح صقيلا
أهوى على عنق المطية باسما
طلق الجبين لما يقول فعولا
ومضى يقطع من أطايب لحمها
ما كان موفورا وكان جزيلا
أورى الزناد وشب نارا مثلها
في قلبه أشعلنها تشعيلا

يشوى لهن فيستطبن شواءه
لحما شهيا وافرا مبذولا
ويقلن أشياء له ويقولها
حتى فرغن وكل شيء قيلا
ومن الحديث صراحة وكناية
ومن الحديث معسل تعسيلا
سحر الحديث يكاد يجري في الصفا
ماء ويغمر بالوريق محيلا
والصب يهوى في حديث حبيبه
ما كان منه مطولا تطويلا

★ ★ ★

ازف الرحيل وليت حيا مانوى
من كندة هذا النهار رحيلا
في ساعة طابت تمنى عمره
لو يرتضي عنها الزمان بديلا
عاد الخليع وعدن والدنيا منى
عذراء تترك صبها مخبولا
وبسمعيه تركن من وقع الخطا
هزجا يرن خلاخلا وحجولا
العشق ديدنه له متتبع
يمسي ويصبح بالهوى مشغولا
خال من التبعات غير محاسن
تغريه منذ غدا بها موكولا
حب وخمر شيمتان كأن من
فوق الجبين توهجا قنديلا
والعاشق المحسود في دنيا الهوى
من كان حبل غرامه موصولا
ستظل ، عمر الدهر ، دارة جلجل
جيلا ، حديث العاشقين ، فجيلا

الفن ومسؤولية الدولة

بقلم غازي الخالدي

في معرض بينالي فنيسيا ، وبينالي الاسكندرية ، وسان باولو ، ومن خلال معارضنا المحلية الحكومية والفردية الخاصة تواجهنا حقيقة لامفر من الاعتراف بها ، وهي ان فننا العربي السوري لم يستطع الى الآن ان يقف على قدميه ويثبت وجوده بين فنون العالم ، بينما نجد الفن الياباني او الهندي او الايطالي او الاسباني او الهولندي ، نجد هذه البلاد تطل بشكل واضح على رواد المعارض من خلال اعمال الفنانين الذين ينتمون اليها •

وان السؤال الذي لابد منه لماذا لم يصل فننا العربي السوري الى المستوى اللائق به بين فنون العالم ، واذا اردنا الدقة اكثر نقول بصراحة : لماذا لانجد للفن العربي السوري الطابع الخاص المميز له حتى انه قد يضيع بين فنون البلاد العربية نفسها •

ان حقيقة المشكلة الفنية في بلدنا مرتبطة بأمرين اثنين ، الاول مشكلة الفنان نفسه ، والثاني الفنان وعلاقته بالدولة ومدى مسؤولية الدولة امام الفنان ، واذا اردنا بصريح العبارة ان نتحدث عن الفنان العربي السوري قد تواجهنا مصاعب كثيرة نتيجة الصراحة والقاء الاضواء على الحقيقة، ولكننا طالما نؤمن بوطننا ونؤمن برسالتنا الفنية تجاه هذا الوطن ونؤمن بجذرية الاصلاح فسنقول رأينا كما يمليه الضمير والواجب

من الملاحظة أن الفنان أكثر الناس ابتعادا عن أخيه الفنان إما خوفا من فضيحة فنية ارتكبها او اعتزازا بشخصيته ، او تظاهرا بالعبقرية وشذوذ الانعزال ، وعندما يحاول أحد الفنانين مخلصا ان يتعاون ويثبت أواصر الصداقة بينه وبين أحد زملائه الفنانين ، نجدهما مع كل أسف يتحدثان في كل شيء إلا الفن •

وصار من نتائج هذا الانعزال والتباعد أن ابتعد الفنان عن دوره القيادي في المعركة القومية ولنضرب مثلا عندما قامت في جميع أنحاء العالم حملة ضد الحرب الذرية تجمع الفنانون من مصورين ومثالين وأدباء وممثلين وشعراء • وبدأ كل واحد منهم يعمل في ميدانه الخاص حتى أثر هذا المجهود المشترك على ضمير الحكام في العالم وغير من عنادهم ، وعندما سارت المظاهرات في الصين وباريز ونيويورك كان الرسامون يتصدرون المظاهرة وكذلك أيام ظهرت الدعوة لانقاذ جميلة بوحيرد وكذلك أيام نضال الشعب العربي في بور سعيد ، وأيام الدفاع عن كوبا وكاسترو •

لقد كان للفن التشكيلي بتعاون افراده الفنانين دورا كبيرا في هذه المناسبات الوطنية الكبرى ونحن في هذه الايام سمعنا عن اسبوع مكافحة الجوع في العالم • فماذا قدم الفنان العربي السوري من أجل هذا الغرض النبيل ،

إن فناننا السوري العربي لايزال يعيش في أحلام المتاحف وهو عندما يرسم لوحة أو ينحت تمثالا إنما يفكر بالمتحف الذي سيشتريه ولا يفكر أبدا بالشعب الذي سيحمل هذه اللوحة ويسير في شوارع المدينة ليزيد من الوعي الوطني بين أفراد الشعب •

والفنان عندنا بكل صراحة نادرا مايفتح كتابا ليقرأ بحثا جديدا عن اختصاصه أو تطوراته لأنما المعلومات التي تلقاها في أثناء دراسته خلال خمس سنوات تكفيه طول العمر ناسيا او متناسيا أن مع اشراقة كل يوم تظهر اكتشافات جديدة ومدارس كثيرة وأبحاث طويلة كلها بحاجة الى دراسة واطلاع مستمر حتى يطور أسلوبه وفكره مع تطور العلم والفن لهذا السبب بالذات نجد أكثر فنانينا يتعصبون لآرائهم وأفكارهم وأساليبهم التي لم تتغير منذ أن نالوا شهادة اختصاصهم ، ان الاستمرار في الثقافة والبحث تماما كالشجرة التي نرعاها ونزيد غذائها ونوع سمادها لتعطي ثمرا اكثر جودة وأطيب طعماء

ومن الملاحظ أيضا أن الفنان عندما يجب أن يريح نفسه بكل طريقة ممكنة فلا يرهق نفسه بالبحث عن تجارب جديدة سواء في الموضوع أو التكنيك ويكتفي بما هو عليه حتى نرى في مدة قصيرة التكرار الممل والاجترار الواضح في أفكاره التي تنعكس في أعماله الفنية • كأنما لا يؤمن بالعمل الجدي المثمر• العمل الدؤوب • ليل نهار من أجل الوصول الى التجربة المثلى والنتيجة الاكثر عمقا وأصالة ، ان سبب هذا الكسل في البحث يعود بلا شك الى الثقة الزائدة التي يمنحها لنفسه حتى تصل الى درجة الغرور •

ومن ناحية أخرى لم يحاول فناننا أن يخرج عن نطاق اللوحة الصغيرة والموضوع من طبيعة صامتة الى أزهار الى (بورتريه) الى مناظر طبيعية • لم يحاول مثلا أن ينتقل من هذه الأمور البيتية المتحجية الى البانو الكبير ذي التكوينات الضخمة والمواضيع الدرامية التاريخية او الشعبية التي تحكي تقاليد وعادات الامة وأفراحها الذي يحتل عادة مكان الصدارة من القاعات الكبرى في قصر العدل • أو المطار أو المكاتب الكبرى أو دائرة البريد أو رئاسة مجلس وزراء أو صالات الفنادق السياحية الكبرى أو المسرح الكبير المزمع انشاؤه في دمشق ، ان ابتعاد الفنان عن عمل مثل هذه البانوهات جعل بعض المتطاولين المتطفلين أن يرسموا هذه البانوهات ويفرضون على الناس عملهم فرضا معتبرين أن البانو هو جزء من الديكور التزييني للصالات بينما لو جئنا للواقع نجد أن من ينصب نفسه كمهندس ديكور لا يعرف نسبة الرأس الى جسم الانسان كم تساوي •

من هذا نجد أن أكثر فنانينا لجأوا الى الوظائف الروتينية أو الأعمال التجارية ليقتلوا آخر ملكات الابداع في نفوسهم قتلا متعمدا ينتابهم اليأس والقرف والاستسلام دون الاحساس بمسؤولية النضال والاصرار على قيمة الرسالة الفنية فكيف بعد كل هذا سنستغرب عدم وجود شخصية خاصة ، وطابع خاص للفن العربي السوري ؟!

ان فناننا يخاف من النقد •• يخشى الكلمة الصريحة ، وهذا ماجعل بعض من يدعون النقد ان ينصبوا انفسهم حكاما ونقادا يقيمون اعمال الفنانين بلا أي فهم علمي صحيح ! •• يتطاولون على هذا الفنان الذي يخشي النقد ، ويخشى الصراحة •• يخشى ان يكشف الناقد عن عورته •• عن نقاط ضعفه •• عن الهدف الذي يرديه قتيلا !

وبعد •••

هل نضع كل اللوم على الفنان وحده ؟ •• هل نحمل الفنان المسؤولية الكبرى لتأخر الفن وتجمده في بلادنا العربية ؟••

اننا كما قلنا في مطلع هذا الحديث ان حقيقة المشكلة الفنية في بلدنا مرتبطة بأمرين اثنين •• اولهما

الفنان نفسه ، وقد قلنا رأينا بصراحة بالفنان العربي السوري ، والثاني .. الدولة ومدى مسؤوليتها امام الفنان !! كيف تفهم الدولة مسؤولية الفن ؟.. كيف تقدر اهمية دور الفنان في بناء صرح الامة الحضاري؟.. كيف تبرهن على تعاطفها الحقيقي مع الفن والفنانين الذين يرفعون رأسها عاليا في المجالات العالمية والمحلية ؟! لو حاولنا تحديد بعض مسؤوليات الدولة تحديدا يتناسب مع امكانياتها وهي تقفز نحو الامام في الميادين السياسي والاقتصادي قفزات طويلة وسريعة لوجدنا امامنا النقاط العملية الهامة التالية :

اولا : من البديهي أن تشتري الدولة اعمال الفنانين من لوحات الى تماثيل وتوزعها في دوائرها الحكومية ومتاحفها ولكن الدور الحقيقي ليس هنا انما في ارسال بعض هذه اللوحات والاعمال الفنية المختلفة الى سفاراتنا في الخارج بحيث تعبر هذه الاعمال عن مدى تطور الحضارة في بلادنا ، فاننا نلاحظ ان البلاد المتمدنة عندما ترسل سفيرا الى بلد ما تأكد عليه ان يحمل معه صورة صادقة لتراث بلده وفنها فلم لا نحذو حذو تلك الدول الراقية بدلا من أن نرسل مع سفرائنا الى الخارج بعض المنشورات والمطبوعات الهزيلة التي على حد زعمها تعبر عن الفلكلور العربي السوري والخرائط المزيلة بالصور الفوتغرافية التي ملها الشعب وبدأ يتطلع الى كل شيء فني جديد .

ثانيا — المفروض في كل بناء حكومي كبير كالمسارح ومجمع المحاكم والنوادي والمطارات والفنادق الكبرى المفروض ان تكون سياحية بالدرجة الاولى جميلة مزينة بالبانوهات الكبيرة والاعمال الفنية الكبيرة ودور الدولة يتجلى هنا باقامة مسابقة على نطاق كبير بين الفنانين لاقامة هذه الاعمال الفنية في مؤسساتها وفي صالاتها الكبرى على غرار مايجري في اوروبا وفي بعض البلاد العربية .

ثالثا — ان اكثر مايضر الفن والدولة هو التفرقة وتباعد الفنانين كما قلت والدولة تستطيع أن تساهم مساهمة فعلية في محاولة تجميع هؤلاء الفنانين بأن ترعى مثلا مشروع انشاء اتحاد لخريجي الفنون الجميلة وتقديم المساعدات المالية والمعنوية لهذا الاتحاد على غرار تشجيعها للنقابات أو الجمعيات المختلفة مع العلم ان عدد الخريجين في سوريا خلال خمس سنوات مقبلة قد يصل الى مئة خريج .

رابعا — سبق منذ سنوات عندما أنشيء المجلس الاعلى للاداب والفنون ان وضعت ميزانية خاصة لمشروع التفرغ للفنانين ويتلخص هذا المشروع بأن يمنح الفنان الممتاز راتبا شهريا مقطوعا وهو في بيته دون ان يمارس أي وظيفة روتينية خلال سنتين يتفرغ للفن فقط ثم يقيم بعد ذلك معرضا لما أنتجه خلال تفرغه وعلى أساس أعماله ينظر في أمره فاما ان يمنح جائزة التفرغ أو جائزة الدولة أو يقطع عنه التفرغ حسب امكانيته الفنية ومدى عمق وأصالة أعماله .

هذا المشروع بقي على الورق مجرد مشروع ولم يخرج الى النور بعد ، فلماذا لاتهتم الدولة بهذه الفكرة التي من شأنها أن تجعل التنافس الشريف يظهر بين الفنانين لمصلحتهم ولمصلحة الامة ؟ .

خامسا — كنا قد نادينا في عدة مقالات عن مشروع جديد للطلبة المتفوقين المتخرجين من المعهد العالي للفنون الجميلة بدمشق هو انشاء مرسم باشراف أساتذة أكفاء يسمى مرسم للدراسات الفنية العليا يعطي شهادة تعادل الماجستير يقام هذا المرسم في مناطق أثرية بعيدة عن الضوضاء وزحمة المدن واقترحنا بصرى حيث هناك الجو الشاعري الملائم لهذا المشروع العظيم ولعلنا ونحن في هذا العهد الجديد نطمع في تنفيذ هذا المشروع الحيوي المنتظر .

سادسا ــ من المعروف في معرض بنيالي الاسكندرية الذي يقام كل سنتين مرة لفناني دول البحر الابيض المتوسط أنه دعاية كبيرة سياحية اقتصادية وفنية وسياسية للبلاد حيث يشترك في هذا المعرض جميع دول البحر الابيض المتوسط وتمنح جوائز مالية من قبل الدول كلها للفنانين الفائزين وبالتالي يطلع العالم الغربي على فننا العربي المعاصر فلماذا لا نقيم في بناء من أبنية اللاذقية الحكومية مثل هذا المشروع ونسميه بنيالي اللاذقية ونوجه الدعوة لجميع فناني دول المتوسط ونقيم مهرجانا فنيا تعرض فيه الافلام السينمائية والمحاضرات الفنية والندوات وتوزع فيه كتب عن سوريا وتاريخها الحضاري بكامله فيكون نقطة الانطلاق لمدينة اللاذقية ومرفأها العظيم •

سابعا ــ لو حاول احد زوارنا الاجانب أن يسأل عن مجلة أو كتاب يتحدث عن الغد الصحيح من نحت وتصوير لايجد في السوق أي أثر لمثل هذه الامور فطالما ان الدولة تصدر من حين لآخر بعض الكتب والمجلات الثقافية فلماذا لاتساهم مساهمة فعالة في اصدار مجلة فنية تختص بشؤون الفن وتتابع حركة التطور الفني في العالم وفي الوطن العربي وتكون نواة المجلة الفكرية الفنية الراقية •

ثامنا ــ نشكو ويشكو رواد المعارض افتقارنا للناقد العلمي الموضوعي وهذه في الواقع نقطة هامة جدا يجب دراستها والاسراع في ارسال بعض المواهب التي تستحق في بعثات للدراسات العليا في النقد الفني الى أوروبا وأمريكا بحيث يعودون الى بلدنا كرواد للنهضة الفنية المقبلة ، وعندما يستطيع الفنان أن يثق بكلمة الناقد ويستفيد من ملاحظاته وبالتالي يجبر الجمهور على احترام الفن والفنانين والنقد والنقاد وتكون هذه حلقة الوصل بين الفنان والجمهور •

تاسعا ــ شهد متحف دمشق الوطني عدة معارض لفنانين أجانب ولكن لم تشهد اوروبا أي معرض لفنانين عرب الا ماندور فلماذا لاتقام باشراف الدولة معارض متجولة تحمل الفن العربي السوري الى انحاء العالم لتعرض ولتباع هناك •

عاشرا ــ كلنا نعرف أهمية دور السياحة وكل مايصدر عن هذه المصلحة في مطبوعات وصور ومنشورات فما هو المانع ان تستفيد مصلحة السياحة من اللوحات الفنية للفنانين المعروفين التي تمثل جانبا من مناظر بلادنا وعادات وتقاليد ريفنا لطبعها في بطاقات جميلة كبطاقات الاعياد وتوزيعها بأسعار زهيدة على الشعب وطبع كتيب يشمل أشهر الاعمال الفنية في سوريا يطبع بالالوان بحيث يأخذ قيمة خاصة • بين الكتب الفنية القيمة •

الحادي عشر ــ قلنا في تحديد مسؤولية الفنان بأنه لا يقرأ ولا يبحث عن الثقافة ونحن هنا نقول بأن المكتبة التي تحوي كتب في الفن لايوجد لها أثر في بلادنا فنحن بحاجة ماسة الى الاسراع بانشاء مكتبة خاصة تابعة لوزارة الثقافة والارشاد القومي تؤمن طلبات الفنانين وتسهل عملية المطالعة للجميع وتخصص للاشراف على هذه المكتبة فنانا مجازا ذا ثقافة عميقة للاستفادة من خبراته في جلب الكتب الهامة الضرورية •

الثاني عشر ــ لو رجع أحدنا الى جميع ماصدر من الطوابع التذكارية في سوريا منذ عهد الاستقلال الى الآن لوجدنا نقصا كبيرا في هذا الفن الجديد اذ المفروض أن تستفيد الدولة من امكانية الفنانين باجراء مسابقات دورية دائمة لتصميم الطوابع التذكارية وتشكيل لجنة تحكيم تختص في منح الجوائز والاشراف على دقة التنفيذ •

الثالث عشر ــ فن الكتاب فن قائم بذاته وتصميمات الاغلفة بحاجة الى دراسة خاصة والوزارة عليها أن تستفيد أيضا من خبرات الفنان وتقيم المسابقات حول هذا الموضوع •

الرابع عشر ــ تشجيع الترجمة والتأليف في الفنون التشكيلية بشراء بعض الكتب والتراجم عن حياة

النشاط الثقافي

الثقافة والفن في المركز الثقافي العربي بدمشق خلال الموسم الاخير :

❋ الاستاذ عبد القادر عياش ، القى محاضرة بعنوان « الفرات في الشعر العربي » والقى بعده الاستاذ احمد العبد الله قصة بعنوان « المصير المجهول » •

❋ تحدث المحاضر الاستاذ جان غولمية عن المستشرق « غوبينو » باللغة الفرنسية وكانت المحاضرة جامعة شاملة لاهم آثار المستشرق المذكور •

❋ اقامت الجمعية الكيماوية محاضرة علمية جرت فيها مناقشات وابحاث علمية بحتة •

❋ اقيمت ندوة شعرية قصصية القى فيها الاستاذان عبد العزيز هلال ، ونزار المؤيد العظم قصة ، كما القى الاستاذ صالح عضيمة قصيدة شعرية •

❋ اختتم النشاط الثقافي في المركز بمهرجان كبير اقيم عن الشاعر الباكستاني الكبير محمد اقبال برعاية السيد وزير الثقافة والارشاد القومي الاستاذ اسعد محفل ، تحدث في المهرجان سيادة الوزير ، والدكتور جورج طعمة عن فلسفة اقبال ، كما القت الآنسة سمر عطار كلمة عن الشاعر ، واخيراً القى الاستاذ عبد الرحيم الحصني قصيدة شعرية •

❋ اقيم معرض الفنان المثال سعيد مخلوف في المركز ، وكان اول معرض من نوعه لانه شمل اعمال النحت على الخشب والحجر •

الفنانين باللغة العربية من المختصين في هذا الميدان وطبعها طبعات شعبية رخيصة لتداولها بين أيدي الجميع •

الخامس عشر ــ المحاضرات هامة وضرورية ولكن تنظيمها ودعوة كبار الفنانين العرب من سوريا وخارجها بالقاء مثل هذه المحاضرات في جميع المحافظات بشكل دوري منظم أمر يكفل للوعي الفني أن ينتشر بسرعة وسهولة •

السادس عشر ــ كثيرا ماتقام في بعض المدارس معارض طلابية مدرسية على نطاق ضيق ان من الواجب تعميم هذه المعارض وتشجيعها بشراء بعض اللوحات الناجحة لان هؤلاء الطلاب هم النواة الاولى الصالحة لمستقبل الفن •

السابع عشر ــ اقامة رحلات منظمة الى المحافظات السورية والى البلدان العربية الشقيقة ، للاطلاع على الآثار وعلى التعرف بالمناطق ، ودراسة حياتها دراسة وافية ، والاهتمام بالفنون الشعبية وبعثها وتطويرها ، ويتم كل ذلك باقامة معسكرات لهم في المناطق التي يزورونها ثم يعودون الى دمشق لاقامة المعارض التي تسجل انطباعاتهم عن هذه الرحلات الهادئة التي تفيد سورية ، من الناحيتين السياحية والفنية • ويمكن ايضا ان تعرض الاعمال الفنية للبيع للجمهور بأسعار معتدلة •

تلك كانت النقاط الاساسية التي نقترحها على الدولة وخاصة وزارة الثقافة والارشاد القومي راجين ان تؤخذ بعين الاعتبار •• من اجل تخطيط جديد لمستقبل فني مشرق •• لتحتل سورية العربية المتحررة مكانتها الفنية اللائقة بين شعوب العالم المتمدن •

دمشق ــ غازي الخالدي

مجاز بالفنون الجميلة

قديم ...

كرم :

جوية بن النضر

قالت طريفةُ : ما تبقى دراهمنـا — وما بِنا سَرَفٌ فيها ولا خَرَقُ

إنّا إذا اجتمعْت يومـاً دراهِمُنا — ظلّتْ الى طُرُقِ المعروفِ تَستَبِقُ

ما يألفُ الدرهَمُ الصيّاحُ صُرّتَنا — لكنْ يمُرُّ عليها وهوَ مُنْطَلِقُ

حتى يصيرَ الى نـذلٍ يُخلِّدُهُ — يـكادُ من صَرِّه إيّاه ينمزقُ

إبـاء :

محمد بن بشير الخارجي

لأَن أُزجّى بُعيدَ العُري بِالخَلقِ — وأجتزي من كثير الزادِ بالرمق

خير واكرمُ عندي أن أرى مِنناً — معقودة للئام النـاس في عنقي

اني وإن قصرت عن همتي جِدَتي — وكان مـالي لايقوي على خلقي

لتـاركٌ كُلَّ أمرٍ كان يلزمني — عـاراً ويشرعني في المنهل الرَّنِقِ

سيكثر المالُ يوماً بعـد قلّتهِ — ويكتسي العود بعداليبس بالورق

... وجديد

صادف يوم ٢١ حزيران المنصرم ذكرى مرور سبعة عشر عاماً على وفاة رجل البلاد الراحل المغفور له سعد الله الجابري . ففي هذه الذكرى الجليلة ووفاءً للرجل العظيم رأت المجلة أن تختار لهذه الصفحة مقتطفات من رائعة شاعر البلاد بدوي الجبل في رثائه .

« سعد »

للاستاذ : بدوي الجبل

سأل الصبح عن أخيه المفدى ... أيها الصبح لن تشاهد سعدا

غيّبَ الدهر من سيوف معدٍ ... مشرفياً حمى وزان معدّا

كلما عارضوا الصوارم فيه ... كان أغنى دماً ، وأصفى فرندا

★ ★ ★

من يهز النديّ بعدك بالخطبة عصماء تحشد البأس حشدا

مترف الفكر والبيان غنيٌ ... باللآلي يصوغ عقداً فعقدا

★ ★ ★

لم يرعك الزمان في حالتيه ... وتحديته وعيداً ووعدا

ما وفيناك بعض حقك فاعذر ... إن عذر الكريم أسمى وأجدى

إن دين العظيم في كل شعب ... لا يوفّى ، وحقه لا يؤدى

شغل الناس بالعظيم وأرضوا ... نزوات النفوس هدماً ونقدا

حسدوه على المزايا فكان الـ ... موت بين الأهواء والحق حدّا

إن من ينكرونه وهو حيٌ ... ربما ألهوه رمزاً ولحدا

★ ★ ★

غاب سعد" عن العيون وماغا ... ب ضياء يهدي القلوب فتَهدى

أينَ سعد" ؟ ولا ألوم الليالي ... وهب الدهر غالياً واستردّا



السياسي الكبير الدكتور شهبندر

بقلم المجاهد صبري فريد البديوي

يحتار المرء ، ويتيه اليراع ... من أية ناحية يصف الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وجلّ مايقال فيه ، قول الشاعر : « هو البحر من أي النواحي اتية ... » وخير مايعمل في هذا الصدد ، هو الرجوع الى تاريخ حياته وجهاده وتضحياته التي لايعرف عنها الجيل الجديد الا القليل ، بسبب السياسة العليا التي كان يختطها الزعيم المزيف وهي « وأد كل فضيلة ومكرمة ، وتشويه سيرة ابطال العرب المجاهدين ... والزعماء السياسيين المخلصين في القرن العشرين » .

١ ــ الطاغية احمد جمال باشا :

اقيمت في مصر حفلة كبرى تكريسا للمرحوم (اديب بك مسدية الدمشقي) مدير عام وزارة الخارجية الافغانية ، وخال الملكة (ثريا) زوجة العاهل المعروف (أمان الله خان) .

وخلال الحفلة ، حدثنا اديب بك بما يلي :

في احد الايام التي تلت الحرب الكبرى الاولى.. وبينما كنت وجمال باشا طاغية الاتراك وسفاح سوريه الشهير ، اطوي على مراقيب الافغان طريق (كابول ــ قندهار) اذ سرح (جمال باشا) وتاه في عالم الخيال نحو عشر دقائق ... ثم شتمك يادكتور ... وقال :

لم يتغلب عليّ احد ويخدعني الا (الدكتور شهبندر) ... كم اتمنى ان اعود الى سورية لاشنق الدكتور شهبندر ... ثم اموت .. »

طلبت من الدكتور ان يوضح لنا سبب هذا (الحقد) فقال :

عندما القى السفاح جمال القبض على رفاقي وزملائي احرار الامة العربية وساقهم الى الديوان الحربي العرفي التركي في عالية ــ بلبنان ــ ليبعث بهم الى منصة الاعدام ... كان اسمي في طليعة القائمة ...

ادركت ان لا نجاة من براثن هذا الطاغية الا بالحيلة وعليه عزمت على مقابلة الخطر بالخطر ... رسمت الخطة وباشرت تنفيذها ... واتيت الى محطة القنوات لاستقبال الطاغية (جمال) العائد من (القدس) ــ مع علمي بأنه اصدر الامر بالقاء القبض عليّ وانه قرر اعدامي في اول قافلة من قوافل الشهداء الاحرار الابرار .

بغت جمال ... ووجم ... وصاح مستغربا ..

انت هنا يادكتور ؟.. فأجبته نعم!.. « أتيت لاخبرك انني وضعت كتابا تاريخيا عن الحرب الحاضرة واعمالك الباهرة في تركيا والزاهرة في سورية .. وانني بحاجة الى عشرة ايام انزوي فيها لاتمام هذا الكتاب ..»

فكر جمال .. وقال لنفسه .. انني سأعدم الدكتور قريبا وان هذا الكتاب سيكون حجة قوية لي في المستقبل .. فقال :

« ألا يمكنك يادكتور ان تنجزه في ثلاثة ايام» ..

فأجبته .. لعلي استطيع ذلك بخمسة ايام اذا انزويت فيها ولم يزعجني احد خلالها.. قال جمال:.. لك ذلك .. وهكذا ضمنت لنفسي عدم الملاحقة خلال هذه الايام الخمس .. وكنت اعددت العدة سلفا .. وبدلا من ان اذهب الى بيتي .. ذهبت مع الرفيق الشهيد (توفيق بك الحلبي) الى الصحراء ، لنقطع معا الفيافي والقفار ، ولنذوق انواع العذاب والظمأ والجوع والحر والتعب والنصب والخوف نحو اربعين يوما متواصلا .. وصلنا بعدها الى العراق حيث لاسلطة للاتراك ولا مشانق لهم ..

اما في دمشق فقد جن جنون الطاغية جمال ومات خالي الذي ساعدني على الفرار من السجون .

٢ ــ المندوب السامي الجنرال ساراي :

في شهر آب ١٩٢٥ كانت البلاد السورية تتحفز لنوال وحدتها واستقلالها ، وكان الجبل الاشم قد بلغ ذروة الحماس بعد معركة المزرعة الواقعة في ٣ آب ١٩٢٥ التي ذاق بها الفرنسيون المستعمرون شر هزيمة عسكرية (بعد الحرب الكبرى) ..

عرف الجنرال (ساراي) ــ المندوب السامي الافرنسي على سورية ولبنان ــ بالاجتماعات السرية التي كانت عقدت في دمشق بين زعيم حزب الشعب (الاول) الدكتور شهبندر وبين زعماء الجبل (عبد الغفار باشا ونسيب بك والامير سليم) الاطرش وغيرهم ..

وادرك ان تلك الضربة الاليمة التي حلت بالاستعمار الافرنسي ــ بسبب صلف وغرور الجنرال المذكور ــ كانت تبعا لخطة مرسومة في اجتماعات مكتومة .

ونظرا لمسموعاته عن براعة الدكتور شهبندر في النجاة ، فقد ارسل اليه ــ حيث كان يصطاف في بلودان ــ دركيا عاديا بورقة بسيطة فيها عبارات الود والاعتبار .. خلاصتها ان الجنرال يرجو مقابلة الدكتور شهبندر ويترك تحديد الوقت ومكان اللقاء الى الدكتور نفسه .

ولكن الدكتور ادرك ماسوف تنطوي عليه هذه المقابلة ــ بل تلك الخدعة الماكرة ــ فكان (امكر) من الجنرال .. حيث غادر بلودان .. لا الى دمشق.. ولا الى بيروت .. ليقابل المندوب .. بل الى قريه (كفر اللحا) ليجتمع في مساء ٢٢ آب ١٩٢٥ مع قائد الثورة العام (سلطان باشا الاطرش) ثم (عبد الغفار باشا ونسيب بك ومتعب بك) الاطرش وغيرهم من زعماء الجبل المشهورين ، وكان برفقته لفيف من خيرة رجالات سورية المعروفين مثل (سعد الدين المؤيد ، ويحيى حياتي بك ، وحسن بك الحكيم ، ونزيه بك المؤيد) .

وليقسم الجميع الايمان على تنفيذ المقرارات السرية التي تنص على امتشاق الحسام لطلب الاستقلال التام .. او الموت الزؤآم ..

٣ ــ دولة سعد باشا زغلول :

خبت نار الثورة السورية في منتصف عام ١٩٢٧ بعد ان كبدت الافرنسيين اكثر من ١٥٠٠٠ قتيل وجريح وخسارة مليارات الفرنكات .. ولطخت

سمعة الدولة الافرنسية بالسواد والصلصال ..
وانزلت بجيوشها اللجبة المجهزة بالطائرات والدبابات الهزائم المتوالية ..

وزادت الترابط بين سورية وبقية البلاد العربية ونشرت الوعي القومي العربي في سورية .. واجبرت الدولة الافرنسية على اقرار حق الشعب السوري في الحياة الدستورية وتحقيق جزء من الوحدة السورية في دستور عام ١٩٢٨ واجمالا نجحت الثورة سياسياً رغم استطاعة الفرنسيين — لعوامل عديدة قاهرة — التغلب عليها حربيا فتفرق المجاهدون بين مدن الاردن وفلسطين .

هبط كثير من رجالات الثورة السورية والزعماء السوريين الى مصر فلم يعترضهم احد .. ولكن الدكتور شهبندر وحده منع من دخول القطر المصري .. واضطر الى النزوح الى العراق .. محروما من مشاهدة اولاده والاقامة في بيته في مصر .

طلب الدكتور شهبندر السفر الى اوروبا للاقامة في ايطاليا فسمحت له السلطات الاجنبية بذلك ، ولما كانت الطائرة تهبط عادة في مطار (الماظة) فقد اغتنم الدكتور هذه الفرصة وذهب فورا الى بيته واهله وولده .

قامت قيامة الاستعمار وامطرت فرنسا وانكلترة (معا) وابل الاحتجاجات السياسية الى الحكومة المصرية ... صارخة :

« اطردوا الدكتور شهبندر من مصر ... » .

كان رئيس الوزارة المصرية حينذاك الزعيم المصري الشهير (سعد باشا زغلول) — رحمه الله — فأرسل الى الدكتور شهبندر (وزير الزراعة) ابن اخته (فتح الله باشا بركات) ليقول له « باسم الحكومة المصرية » .

حفظا على سياسة الولاء البريطاني الفرنسي مع مصر ...

فالحكومة ترجو معالي الوزير السوري الدكتور شهبندر ان يغادر الديار المصرية .

. . .

وهنا تجلت عبقرية الدكتور شهبندر السياسية وظهرت براعته وحنكته في الأزمات ... حيث اجاب فتح الله باشا بكلمات رددت صداها اوساط مصر السياسية ... ودوت في انحاء البلاد العربية ... وقامت لها وقعدت الاحزاب والجمعيات والهيئات... المصرية ... وكادت تهدد كيان الوزارة السعدية ...

تلك الكلمات ... كانت جواب الدكتور شهبندر الى فتح الله باشا ... ولم تزد على عبارة :

« ارجو تبليغ سعد باشا تحياتي واحتراماتي ... وارجو ان تخبره بأنني سأثبت للعالم ان مصر دولة مستقلة تستطيع ان تحمي ضيفها العربي السياسي اللاجىء ... » .

ذهل فتح الله باشا من هذا الجواب وعاد خجلا الى خاله — سعد باشا — ليبلغه جواب الدكتور ... فاكتسى وجه الباشا المشار اليه بلون الورد وقطرات الندى ... ولما انتشر الخبر ... وذاع الجواب .. قامت الاحزاب السياسية المناوئة للوفد — بل والشخصيات الكبرى العربية بالوفد ذاته مثل وكيل الوفد (حمد باشا الباسل) — وهبت الاوساط الاقتصادية والجمعيات والهيئات ... العربية وكلها تنادي :

« كلا ... لن يطرد الدكتور شهبندر ... بل سيبقى بين اهله وصحبه وولده في مصر شاء الاستعمار الافرنسي أم أبى .. » .

وقدم سعادة زكي باشا الابراشي كبير (رئيس) امناء البلاط الملكي استقالة الى جلالة الملك فؤاد قائلا :

« انني استحي من حمل هـذا اللقب العظيم في دولة لا تستطيع ان تحمي ضيفا عربيا كريما وسياسيا ووزيرا وزعيما » .

. . .

وكادت تحدث أزمة وزارية ومشكلة داخلية ... اضطر فيها سعد باشا زغلول ان يطلب من فرنسا وانكلتره سحب الانذار ... وسمحت الحكومة المصرية للدكتور شهبندر بالبقاء في مصر بشرط ان لا يتدخل بالسياسة ولا يبدي نشاطا ضد الحكومتين الاستعماريتين المذكورتين .

. . .

بل دعا دولة سعد باشا زغلول الدكتور شهبندر ليكون ضيفا كريما لديه في عزبته (قريته الخاصة)

أهلاً بالاستاذ العطري

عاد من المملكة العربية السعودية بعد غياب بضعة أشهر الزميل الكريم الاستاذ عبد الغني العطري — صاحب الدنيا الزاهرة — فالثقافة ترحب بالزميل الغالي راجية له طيب الاقامة بين أهله ومحبيه كما تأمل — للدنيا — العودة واطراد النجاح .

وبالفعل بقي لديه ثلاثة ايام متواصلات لم يدع سعد باشا مجهودا لاكرام الدكتور الا فعله .

. . .

ملحوظة هامة :

اخبرني الدكتور شهبندر الذي روى لي هذا الخبر ... انه خلال هذه الايام الثلاث بذل كل جهده لاقناع دولة سعد باشا زغلول بأن تتخذ مصر سياسة عربية تقود بها بقية الاقطار والحكومات العربية المؤمنة بهذا المبدأ ... فكان جواب سعد باشا الرفض بتاتا لهذه الفكرة ... قائلا « احنا ما لناش دعوى بالعروبة ... احنا عندنا اقباط ... ودعوتنا هي (مصر ... ومصر للمصريين) .

. . .

هذه ناحية واحدة فقط من نواحي عبقرية الدكتور شهبندر عطر الله ثراه وقال لي المؤرخ العربي الكبير الاستاذ امين سعيد انه اعد مجلدا ضخما وسفرا تاريخيا بعنوان (الدكتور شهبندر) كما ان الفتى محمد رباح شيخ الارض وضع كتابا مطولا عن الدكتور شهبندر (لا يزال مخطوطا) ... فهل لوزارة الثقافة او وزارة التربية والتعليم ... او وزارة الاعلام .. او غيرها ان تذكر شيئا اسم (الشهبندر) ؟..

المجاهد

صبري فريد البديوي

قصـــة المغـــامرة الكبيرة

مؤسسة التبغ والتنباك تنقذ محصول عام ١٩٦٤

قامت مجلة الثقافة بزيارة خاطفة الى مناطق زراعة التبغ فياللاذقية لتروي قصة المغامرة الكبيرة التي اقدمت عليها مؤسسة حصر التبغ والتنباك باشراف مديرها العام السيد محمد السيدلانقاذ محصول عام ١٩٦٤ فلاول مرة في تاريخ القطر السوري تقدم مؤسسة على تحمل مثل هذه المسؤولية الضخمة ، وتقيم (٢٢)حقلا لانتاج الشتول السليمة مساحتها الف دونم ، وتقدم البذار المعقم ، والمضخات الآلية واليدوية للزراع باسعار الكلفة .

لقد زارت المجلة حقول شتول المؤازرة وتحدثت الى الفنيينوالزراع الذين تعلموا في هذه الحقول كيف تتم زراعة التبغ المعقدة على أفضل وجه ، والشيء الذي خرجت منه المجلة ، هو التأكيدعلى ان زراعة التبغ في القطر السوري قد دخلت عهدا جديدا بعدما انقذ محصول عام ١٩٦٤

في منطقة دوير الخطيب :

ان حقل شتول المؤازرةفيمنطقة (دوير الخطيب) بالقرب من مدينة جبلة لا يقل عن مشتل جب حسن من حيث الحركة والنشاط واتقان العمل ، وقد صادفت زيارة هذا المشتل في أواخر الدوام قبل الظهر ، وما ان يقترب الانسان في مثل تلك الساعة من النهار من المشتل المذكور حتى تتموج في اذنيه اصوات دوي محركات الضخ وبعض العمال يحملونها على ظهورهم متنقلين من بقعة الى بقعة وعيونهم في ارض المشاتل ينشرون الميدان فوق الشتول الصغيرة اتقاء لها من غبار العفن الازرق المنتشر في جميع الاجواء ..

ان نشاط العمال اشبه ما يكون بخلية نحل كل عامل يقوم بما عهد اليه به ، فمن ساق الى مغربل ، الى مكافح الى فاحص الى مراقب ، وعلى رأسهذه المجموعة الكبيرة من الايدي العاملة يقفالاخصائيون يراقبون ويشجعون ويرشدون . انها حملة حقيقية ضد (مرض الميلديو) العفن الازرق ، يتدرب عليها



الزراع يتدربون في المشتل على استعمال المضخات الحديثة التي امنتها لهم مؤسسة الحصر

العمال وهم كلهم من مزارعي التبغ ، كما يأتي الكثيرون من الزراع يراقبون الاعمال الفنية ساعات وساعات وكلهم يعودون الى بيوتهم في القرى المجاورة ونفوسهم مطمئنة الى ما تقوم به ادارة الحصر من مجهود متواصل في سبيل خدمة مصلحة التبغ وخدمة المصلحة العامة دعما للانتاج ولاقتصادنا القومي •

كانت زيارة مشتل دوير الخطيب قبيل الظهر ، وما ان اطل مدير اللاذقية على عمال المشتل حتى سارعوا الى لقائه ، انه صديقهم الذي لا ينفك عن زيارتهم ومراقبة اعمالهم ، وفي كل مرة كان يزداد يقينا بتجاوب الزراع ومؤسسة الحصر، كما يزداد يقينا بنجاح هذه المؤسسة وبالتالي موسم التبغ في عام ١٩٦٤

ان كارثة عام ١٩٦٣ كانت افجع من ان تنسى ، انها بالفعل مصيبة كبيرة اودت بمحاصيل التبغ في العام المذكور ، غير ان هذه الكارثة دفعت بالمزارع ومن ورائه مؤسسة الحصر على التصميم بعدم عودتها ثانية •

تجول مدير منطقة اللاذقية في ارجاء مشاتل دوير الخطيب الذي تبلغ مساحته سبعين دونما ، وفي أثناء هذا التجوال اعطيت الاستراحة الى العمال من قبل المراقبين ، انها استراحة الظهيرة ، وجرى لقاء أخوي بين مدير المنطقة والعمال ، وانفردت المجلة ببعض العمال وسرعان ما انتظمت حلقة وبدأت المجلة تسأل والزراع يجيبون •

ان اسباب فشل مكافحة مرض (الميلديو) في عام ١٩٦٣ تعود بالدرجة الاولى الى عدم وجود الاستعداد الكافي وقتئذ لاجراء مكافحة كثيفة وقوية كما هو الحال في السنة الحالية ••

والى جانب ذلك فان مزارع التبغ لم يكن مستعدا الاستعداد الكافي ماديا ونفسيا للقيام بمكافحة المرض، حيث انه لم يكن معتادا على مثل هذا النوع من المكافحة ولا مؤمنا بالاصل بوجود المرض • ثم تحدى الحديث هذه النقاط وتركز على حالة المشاتل في القرى، فقد اجمع الزراع على ان مشاتلهم في حالة جيدة ولم تصب اية مسكبة بمرض الميلديو حتى الآن ، كما ان المكافحة الوقائية ضد العفن تسير بفهم عميق ،ووعي اكيد ، فهذه المكافحة على اشدها في جميع القرى • ان مزارع التبغ اصبح متفهما مصلحته حق التفهم، وهو يتجاوب مع اجهزة مؤسسة الحصر تجاوبا صحيحا مما سيجعل قضيته ناجحة حتما ••

بعد هذا الحديث الشامل من قبل زراع التبغ بدت رغبة خاصة في التعمق بالاسئلة ، فواجه العمال الزراع السؤال التالي :

ــ ماهي الفوائد التي سيحصل عليها الزراع من شتول المؤازرة ؟

كان جواب الزراع ما يلي :

ان اول فائدة من حقول الشتول التي تعهدت ادارة الحصر باقامتها هي تشغيل اليد العاملة المحيطة بكل حقل من هذه الحقول ، وهذه الفائدة نعتبرها زهيدة وليست هامة ••

اما الفائدة الاكبر فهي الامكانية التي توفرت للحصول على شتول سليمة ، وذلك في حالة اصابة مشاتلنا بمرض ــ العفن الازرق ــ أو في حال تأخر نموها ، وهذه الفائدة ليست تعود فقط على الزراع انما على الدولة لان نجاح موسم التبغ يعني رخاء هذه المنطقة الاقتصادي ، فمتى اصطلحت احوالنا المادية اطمأنت الدولة واستفادت في آن واحد ، ولذلك كانت الفائدة من حقول الشتول مزدوجة ، انها للزراع

والدولة في آن واحد ..

كان النقاش في عنفوانه حين طرح احد الزراع فكرة جديدة اذ قال :

(هناك فائدة كبرى من حقول المشاتل ، وهذه الفائدة تفوق كل ماذكرناه حتى الآن فسألناه عن هذه الفائدة فأجاب :

(كلنا زراع تبغ ، وكلنا نعمل في هذا الحقل الواسع ، بدأنا بالعمل فيه منذ اول ضربة معول ورفش حتى يومنا هذا فجميع العمليات الزراعية في تحضير المشاتل قد عشناها وقمنا بعملها تحت مراقبة الاخصائيين ، اننا اتقنا هذه العملية ، واتقاننا لها جعلنا نطبق ما تعلمناه في قرانا وفي مزارعنا ، كما نقلنا ما تعلمناه وتتعلمه كل يوم الى اخواننا بقية المزارعين في قرانا ..)

كانت هذه الفكرة التي عرضها هذا المزارع بمثابة الانطلاق بالسؤال الى بقية العمال الزراع ، سألناه عن رأيهم فيما قاله رفيقهم فاذا بأجوبتهم تشابه اجوبته ، لقد وجدنا ان معظمهم عند عودتهم الى قراهم يعقدون الاحاديث فيما بينهم عن كيفية صنع مشاتل التبغ بصورة فنية ، وعن معالجتها ضد مرض الميلديو وتغطيتها بالنايلون وسقايتها الى ما هنالك من الامور الفنية الدقيقة التي اصبحت كلها في وعي زراع التبغ بصورة عامة ..

انتقل الحديث بعد ذلك الى نظرة فاحصة للمستقبل فكان جواب كل العمال واحدا ، وهو انهم يأملون في السنة القادمة عدم تكليف مؤسسة الحصر اقامة شتول مؤازرة على نطاق واسع كما فعلت في هذا العام ، انهم يقدرون ان تحضير المشاتل سيقع على الزراع بالدرجة الاولى ، فاذا ساعدتهم الدولة في عام ١٩٦٤ فهذا لايعني ان هذه المساعدة يجب ان تكون دائمة ..

ان الحديث لم ينته بعد ، اجوبة الزراع كانت سديدة وواعية الى درجة يرغب الانسان في الاستزادة من التعرف اليهم ، لذلك طرحنا على هؤلاء العمال سؤالا محرجاً يتلخص فيما يلي :

ـ ما هي النواقص التي لاتزالون تلاحظونها في معظم مشاتل الزراع بعد ان عرفتم الآن الطرق الفنية في اقامة هذه المشاتل ؟

وعلى هذا السؤال اجاب اكثر من واحد ، وكلهم كانوا مجمعين على رأي واحد وهو :

ـ ان مشاتلنا لاتزال بعيدة عن الاساليب الفنية الصحيحة ، وسوف نصلح من هذه الناحية في السنين القادمة دون شك بعد ان ادركنا كل هذه الطرق حتى الآن ..

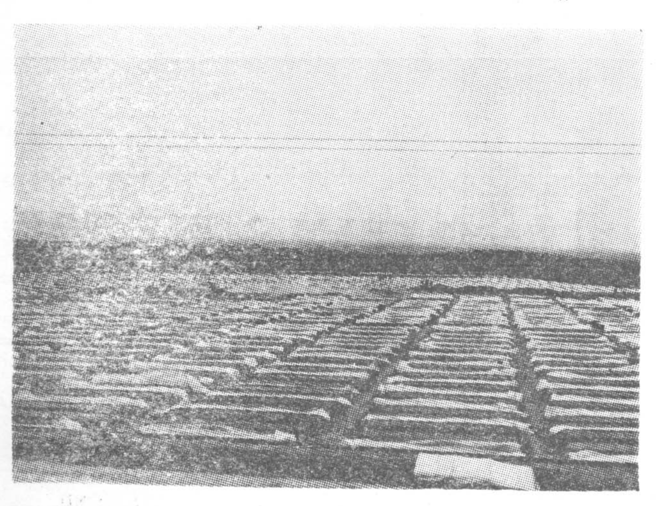
واما النواقص المشار اليها فهي تنحصر فيما يلي :

ـ المسكبة غير مرتفعة عن الارض ارتفاعا كافيا .

ـ ميلان المسكبة نحو الجنوب غير كاف .

ـ لم تعط المسكبة أية كمية من الرمل بالرغم من ان بعضها تربته طينية ويلزمها الرمل .

ـ البحص ايضا لم يستعمل حتى الآن في مشاتل الزراع ، اما وقد وقعنا على قيمة البحص في المسكبة فاننا في السنة القادمة سوف نستعمله دون شك ، انه



المشتل الذي قدم شتولا سليمة الى الزراع تطبق فيه احدث الطرق

يعطينا كثافة معتدلة وصحيحة ويساعد على نمو الشتول بصورة جيدة •

ــ التغطية بالنايلون غير كافية لان قسما من الزراع لايزال يغطي مساكبه بالشوك والعيدان ، وهذا خطأ لان الشوك والعيدان قد تجلب له مرض ــ العفن الازرق ــ بالاضافة الى انها لاتقي مشاتله من الاضرار بسبب المطر والبرد والاعاصير •

ــ البذور الموضوعة في مشاتل الزراع كثيفة جدا ••

هذه هي النواقص التي براها الزراع فعلا في مشاتلهم، ومتى ادركنا ان الزراع انفسهم قد تفهموا كل هذه الامور الفنية فهذا يعني ان مستوى هذه الفئة اصبح الى درجة تبشر بالخير واطراد النجاح •

التعرف على الزراع في قراهم

ان حديث هذه الفئة من الزراع كما رأينا في مشتل (دوير الخطيب) يحمل على رغبة التعرف الى هؤلاء الزراع في قراهم ، وهذه القرى كلها قريبة من المشتل فهي تعتبر امتدادا للساحل •• ومن زيارة هذه القرى نجد ان مزارع التبغ اضحى كله اهتمام ، لقد بدأ يدرك ان هذه الشتلة هي قوام دخله ومعيشته ، لقد اصبح كل الزراع يتحدثون عن مرض الميلديو ، وكلهم يتحدثون عن النايلون والمبيدات ، فاخذوا يتبارون فيما بينهم في الحديث عن افضل الطرق لحماية الشتلة من الاصابة •

وقد حدث اثناء زيارتنا لمنطقة اللاذقية ان ورد اخبار الى مديرية الحصر عن وجود اصابة بمرض الميلديو في مسكبة تبغ بالقرب من ساحل صافيتا ، فسرعان ما تحولت سيارتان الى المكان المذكور تضم عددا من الاخصائيين يتقدمهم مدير الحصر في اللاذقية ،



المجلة في زيارتها للمشتل

وذلك لتحديد نوع الاصابة خاصة وانها كانت الاولى في هذا العام حتى تاريخ ١٠ آذار ••

الاصابة فعلا وقعت انما على بضعة شتلات فقط ، واعطيت التعليمات الفنية بشأنها ، وبنفس الوقت جاء خبر آخر بوجود اصابة على شتلة اخرى في البسيط ، ودل الفحص الفني على ان الاصابة الثانية لم تكن بمرض الميلديو انما كانت بمرض الزوبان ، وبالوقت نفسه أيضا اتى خبر عن وجود مشتلة مصابة بالميلديو في مركز الطابيات باللاذقية ، وقد تحول الاخصائيون فورا الى هذه المشتلة فوجدوها بالفعل مصابة بمرض المليديو ، وهذه المشتلة لم يعلن سابقا عن وجودها ، ولم تعالج المعالجة الوقائية اللازمة، لذلك اتلفت بكاملها قصاصا للمزارع الذي لم يطبق التعليمات •

والجدير بالذكر ان هذه الاصابات وقعت لان الزراع اصحاب هذه المشاتل لم يطبقوا تعليمات المؤسسة للمكافحة ، واعتمدوا على طرقهم القديمة ، وكل هذا يدل بوضوح على مدى اهتمام المسؤولين بمكافحة مرض المليديو ، كما يدل على دقة تتبع مراقبة هذا المرض وشدة حرص الزراع على التعاون مع اجهزة الحصر من اجل القضاء عليه •

المنطقة تطور نفسها بسرعة

ولا يسع المرء وهو يراقب نشاطات الزراع الا ان يركز مخيلته قليلا على بيوت هذه الفئة من ساكني الجبال ، فلقد تغيرت هذه البيوت بصورة مفاجئة ، ويلفت النظر انها منذ بضعة سنوات كان بناؤها من الحجارة غير المنحوتة، اما الآن فمجمل القرى الساحلية وفي امتداد الساحل نحو كتف الجبل اصبحت بيوتها الآن مبنية بالحجر المنحوت ، وذات بهاء يراها المرء من بعيد فيرغب من الاقتراب منها والسكن فيها ايام الصيف ، انها فعلا مفاجأة فهذا التحول الجذري تم في بضع سنوات ، وهو ان دل على شيء فانما يدل على ان استعداد سكان الارياف نحو التقدم الحضاري قوي جدا ، ولذلك فان اسباب التقدم متى وجدت ، سجل هؤلاء فورا ما يصبون اليه من هناء في العيش وتنظيم في السكن ، ان القضية تدخل في صميم الاجتماع وجديرة بالتسجيل والدراسة دون ريب •

ان موضوع الاصطياف يتطلب بقعة جبلية جميلة الى جانب امكانيات مادية وافرة وانسان جميل النفس فاذا توفرت هذه الشروط الاساسية في ريفنا فانه سيحقق تقدما سريعا في مضمار الاصطياف وسيدخل على بلده ثروة جديدة لم تكن قائمة من قبل طالما تغنى بها لبنان وما زال يتغنى •••فهل نحقق في اريافنا ثروة لبنان الجميلة ، ان بقعة الارض واحدة من حيث كل الشروط ، وعلى هذا يصبح كل شيء جائزا ••

والفضل في ذلك يعود الى التخطيط العام الذي شمل زراعة التبغ والى جرأة المسؤولين في تحقيق هذه الخطوة ، والى تجاوب الزراع مع اجهزة الحصر الفنية ، ليكون الكل يدا واحدة وفكرا علميا واحدا من اجل دعم مردود الفرد وخدمة المصلحة العامة •

هذا المزارع يجب ان يعيش

ان زراع التبغ في منطقة اللاذقية اصبحوا من القوة المادية بحيث يستطيعون تحويل طريقة سكنهم واتجاههم الحضاري ، ان محاصيل التبغ الآن تقدم الى الزراع وفرا محترما ، وهذا من شأنه ان يبذل المزيد من العناية لتطوير زراعته وجعلها تتفق والزراعة الحديثة ، ومتى علمنا ان زراعة التبغ في اتساع مستمر، ومتى عرفنا ان عام ١٩٦٤ قد سجل ترخيصا هو ضعف ترخيص عام ١٩٦٣ •

ـ عام النكبة ـ فمتى علمنا ان محاصيل ١٩٦٣ قد اعطت (٧٠٠٠٠٠) كغ من التبغ فقط بسبب المرض وان موسم عام ١٩٦٤ لن يقل عن عشرة ملايين كيلو ادركنا فرح زراع التبغ في هذا العام ومدى نشاطهم الذي سوف يدر عليهم الكثير الكثير من الخير ••

وهل ستكتفي مؤسسة الحصر بهذا القدر من الزراعة ؟ان المدير العام ومن ورائه الفنيين في المؤسسة وجميع العاملين يقولون •• كلا ••

ان هناك برنامجا واسعا ومفاجئا بقدر ما كانت مفاجئة حالة الزراع في بيوتهم ، وهذا البرنامج سوف يؤمن زراعة مالايقل عن عشرين مليون كيلو في السنوات القليلة القادمة ، وبذلك تكون مؤسسة الحصر ضربت رقما قياسيا في سرعة التقدم وزيادة مردود زراع التبغ، وبهذا ترتفع مقادير المحصول فجأة من ستة ملايين الى عشرين مليونا ، أي ما يزيد عن ثلاثة اضعاف،والفضل في ذلك يعود الى التخطيط العام الذي شمل زراعة التبغ والى جرأة المسؤولين في تحقيق هذه الخطوة ، والى تجاوب الزراع مع اجهزة الحصر الفنية ، ليكون الكل يدا واحدة وفكرا علميا واحدا من اجل دعم مردود الفرد وخدمة المصلحة العامة ••

موكب العلم والحضارة

الاتصال الرادي مع المحطات بين الكواكب

بقلم : ا . بولوشين

لقد أوجد الاختصاصيون السوفييتيون اتصالا راديا جيدا مع الاقمار الصناعية والسفن الفضائية . وقد برهنت عدة طيرانات ولا سيما طيران السفن المأهولة ، برهانا اكيدا ان اجهزة اللقط والبث المستعملة للاتصال ليست وحدها التي تعمل جيدا اثناء الرحلات بل الاجهزة التلفزيونية ايضا . فقد استطاع العلماء كما استطاع المتفرجون البسطاء في كثير من البلدان ان يشاهدوا على الشاشة الصغيرة عمل ملاحينا الكونيين اثناء طيرانهم .

ان قذف محطات فضائية نحو كواكب اخرى وعلى الاخص قذف المحطة الكونية الاوتوماتيكية المريخ - ١ ليرتدي اهمية كبيرة بالنسبة لتغلغل الانسان في الكون . ويتعلق الامر الآن بطيرانات على ابعاد تبلغ عشرات ملايين الكيلو مترات . ومن الصعب اقامة اتصال على مثل هذه الابعاد .

فالموجات الرادية التي تنبث من مصدر البث (الارسال) الى جهات مختلفة تفقد شدتها بسرعة . فمع كل متر في الطريق تتوزع طاقتها على حجم اكبر فاكبر . وبنتيجة ذلك تتناقص شدة التيار بنسبة معاكسة لربع المسافة من مصدر البث . وهذا الامر بذاته يولد صعوبات جمة لتأمين الاتصال مع المحطة الاتوماتيكية سواء باتجاه الارض المحطة اوبالعكس.

صحيح انه يمكن في ارسال اوامر بالراديو من الارض باتجاه المحطة استعمال اجهزة بث جبارة وهوائيات معقدة شلجمية الشكل مع عاكس قطره من ٧٠ الى ٨٠ متر يتيح تركيز الموجات الرادية في حزمة رقيقة كما في المنوار (بروجكتور) ، غير انه لا يمكن تجهيز المحطات الكونية باجهزة بث جبارة وهوائيات كبيرة . وهذا ما يعقد بشكل هائل قضية الاتصال من المحطة الى الارض الذي ينقل المعلومات العلمية التي هي في الاساس هدف هذا الطيران .

فكيف العمل في هذه الظروف لنقل الاشارات المرسلة نحو الارض نقلا فعالا ؟ ان زيادة قوة اجهزة البث تتطلب زيادة في قوة مصادر التغذية وهكذا يصبح مجموع الاجهزة مزعجا وثقيلا جدا . وبالاختصار ان هذه الوسيلة غير مقبولة جدا . ومن الاقرب الى الصواب استخدام هوائيات ذات حزمة تتيح تعويض الضعف في قوة جهاز البث عن طريق تركيز البث في اتجاه واحد . الا ان هذه الهوائيات ذات الشعاع

المشابه لشعاع المنورات (بروجكتورات) يجب ان تظل دائما موجهة نحو الارض بواسطة وسيلة اوتوماتيكية للتوجيه تقوم على متن المحطة الكونية •

في الامكان تركيب ٤ هوائيات على المحطة الاوتوماتيكية كما جرى مثلا على المحطة الكونية المرسلة في شباط ١٩٦١ نحو الزهرة • فعلى المسافات القريبة نوعا ما من سطح الارض ، عندماتكون الاشارة الرادية قوية كفاية يستعمل احد هذه الهوائيات ، وعلى وجه العموم هوائي ذو قضيب عادي غيرموجه • وكلما ابتعدت المحطة عن الارض (في المسافات المتوسطة) ضعفت الاشارات الكهربائية الرادية ،عند ذلك يقتضي الامر هوائيا حسن التوجيه بشكل صليب مثلا • فلهذا النوع من الهوائيات استقطاب دائري يسهل عمل اللقط •

وعلى مسافات عن الارض اكبر يمكن استخدام هوائي شلجمي الشكل يعطي حزمة قطرها حوالي المترين يمكن توجيهها مثلا باتجاه الشعاع الرادي الذي يرسله جهاز البث من الارض • ان هوائيا كهذا يتيح (بموجة طولها ٣٢٫٥ مترا) تركيز البث الكهررادي (وبالتالي اللقط) في زاوية تبلغ ٧ درجات تقريبا • وهذا معناه الدقة التي ينبغي توفيرها في جهاز توجيه الهوائي • وللهوائي الشلجمي ذي القياسات المذكورة اعلاه مسمى (معامل) لقابلية الاتجاه من رتبة ٣٥٠ • وهذا يعني اننا اذا اردنا ان نستعمل بديلا عن هذا الهوائي هوائيا غير موجه فهذا يقتضي زيادة قوة اجهزة البث الى ٣٥٠ ضعفها •

ولهذا هو المفعول الوحيد الذي يعطيه الهوائي الشلجمي • فالاتصال الرادي مع الارض يجب ان يكون دويا لا مستمرا اذ ان الاتصال المستمر يقتضي استهلاكا كبيرا للطاقة • فجهاز البث يتصل في وقت معين بأمر من الارض وينقل الاعلام الذي تلتقطه الاجهزة الالكترونية وتحفظه في « الذاكرة » •

غير ان رغم اختيار هوائي خاص فان قوة الاشارات الواصلة الى الارض قادمة من محطة اوتوماتيكية تبدو قوة ضئيلة • وهكذا لا يصلنا عن مسافة ٧٠ مليون كيلو متر سوى ١٠ — ٢٢ من الواط في كل متر مربع من مساحة الارض •

لبضعة سنوات خلت لم يكن الانسان يتصور امكانية التقاط اشارات ضعيفة الى هذه الدرجة • والصعوبة الكبرى هي ان الاشارة الضعيفة تضيع بين الاصوات الداخلية الخاصة بالجهاز اللاقط •

وبقيت الابحاث في هذا الميدان زمنا طويلا دون جدوى • ولكن العالمين السوفييتيين ن • بسوف و ا • بروخوروف صمما اجهزة كهررادية جديدة سميت المكبرات الكانتية (اي مضخمات او مكبرات الطاقات الصغرى) • فخلافا لصمامات الراديو التي يحصل فيها التكبير عن طريق تناوب فعل الاشارة وفعل الالكترونات التي يبثها المهبط (القطب السالب) المحمى حتى البياض اقترح العالمان اجراء تناوب الفعل بين الاشارات وجزئيا وذرات اجسام صلبة •

وقد وجد انه اذا تعرضت ذرات بعض المواد الممغنطة قليلا للقذف بواسطة ذبذبات كهربائية مساعدة عالية التوتر استطاعت هذه الذرات تضخيم الاشارة الكهررادية • صحيح انه للحصول على تضخيم ملحوظ ينبغي تبريد مادة كهذه الى حرارة تقارب الصفر المطلق • وهكذا يجب وضع المضخم الكانتي في غاز الهليوم السائل الذي لم يكن يصنع لبضع سنين خلت فقط الا في اكبر المختبرات الفيزيائية في العالم • غير

ان العلماء السوفييتيين تغلبوا على هذه الصعوبة ايضا • واتاحت المكبرات الجديدة (أي المكبرات الكانتية) لاقطة فائقة •

لقد اسهم هذا الانجاز العلمي الرائع في نجاحات الابحاث في المجالات الاخرى ايضا • فقد تم الآن صنع مكبرات بارامترية حيث يجري الحصول على المفعول المنشود بواسطة صمام ثنائي (ديود) ذي انصاف ناقل • فهي لا تتطلب تبريدا ومغنطيسات خارجية بل تعمل في ظرف الحرارة العادية الا ان مستوى الوشيش الداخلي فيها اعلى منه قليلا في المكبرات الكانتية • فالمكبرات الكانتية والبارامترية الصامتة تماما تقريبا قد اتاحت التوصل حقا الى تحقيق الاتصالات الرادية على مسافات كونية •

وفيما عدا الوشيش الخاص بالجهاز اللاقط يأتي وشيش من مصسي الاشعاع الطبيعية ، وبالدرجة الاولى منها الفضاء الكوني وجو الارض • فاختيار طول الموجة اختيارا صحيحا دقيقا عنصر حاسم لتقليل عنصر حاسم لتقليل تأثير التشويش المتطفل (البارازيت) • وقد برهنت التجارب ان الطبيعة قد اوجدت « نافذة » تلائم الاتصالات مع الفضاء الكوني وهي سلم الموجات المتراوحة بين ٣٠ و ٣سم • ومن الهام ايضا ان سلم الموجات هذا لايتعرض لانكسار ملحوظ او لعكس او امتصاص من جانب جو الارض او من جانب الطبقة الايونية في اعالي الجو (يونوسفير) •

وفي اثنا ءالطريق تتعرض الاشارات المرسلة من المحطة الاوتوماتيكية الى الارض ومن الارض الى المحطة لبعض التعديلات يعود احدها الى تأثير دوبلر مئة بل والف مرة • واصبح بالامكان صنع اجهزة تقليل الضجيج الداخلي الخاص بالاجهزة اللاقطة وهو يعني ان تواتر ذبذبة الاشارة الملقوطة تختلف عن تواتر ذبذبة جهاز البث وهذا يتأتى عن زيحان كل من جهاز البث وجهاز اللقط بالنسبة للآخر • ويسمى هذا التعديل في تواتر الذبذبات زيحان التواتر «دوبلر» وهو يتناسب طردا مع تواتر الذبذبات الخاص بالجهاز ومع مضاعف سرعته الكعبرية وعكسا مع سرعة انتشار الموجات الرادية •

فاذا اخذنا مثلا السرعة الكعبرية لابتعاد المحطة عن الارض بمعدل ٤٠٠٠م في الثانية نجد ان حسابا بسيطا يبين لنا نقص سرعة الاشارة المرسلة من الارض الى المحطة او بالعكس سيكون ٢٥ كيلو سيكل تقريبا • ولنتصور ان مصفاة في جهاز اللقط لها شريط ضيق عرضه ١٠ كيلوسيكل يكون من الواضح عندئذ اننا لن نبلغ هدفنا ببثنا الاشارات على تواتر الذبذبة المقرر : فالاشارة الداخلة ستكون خارج باب المصفاة ذات الشريط الضيق •

واثناء طيران المحطة تتغير سرعتها الكعبرية بالنسبة الى الارض تغيرا مستمرا وهذا يقتضي حسابا دقيقا لقيم التواتر الجديدة مع اخذ تواتر دوبلر بالحسبان •

ان تنظيم اتصال جيد مع المحطات الاوتوماتيكية ولا سيما مع « المريخ ــ ١ » على مسافات عشرات ملايين الكيلو مترات سيكون احد الشروط الاساسية للنجاح في المرحلة الجديدة من استكشاف الكون •

كتب وقراء

سلاسل الماضي

بقلم : حامد حسن

١ ـ السهولة ، والعفوية ، والصدق ، واللون المحلي ، والطابع الذاتي .
٢ ـ الانعتاق من ((تكنيك)) القصة ، والابتعاد عن ((افتعال)) الحوادث ، و ((تعمد)) خلق ((العقدة)) و ((حلها)) .
٣ ـ استقصاء دقائق الصورة ، وجزئياتها .
٤ ـ تطعيم الأدب العربي بظاهرة جديدة .
كل ذلك هو بعض مميزات أدب نزار مؤيد العظم في روايته ((سلاسل الماضي)) .

★ ★ ★

وهذا كاتب جديد يطل على عالم الأدب ، ودنيا القصة ، اطلالة واعية ، كبواكير الربيع هدوءاً ، ووداعة . وكبوادر غيث الخريف ، رياً وحياة . لا رعود ، ولا بروق ، ولا عواصف .

لايهبط الى اعماق الجحيم ، واطباق الهاوية ـ كالطلائعيين ـ ليلملم الكلمة الغائمة ، والاسلوب الضبابي ، ولا يصعد الى السماء ، وسدرة المنتهى ـ بمركبة ايلياء النبي ـ ليقتنص شوادر الفكر ، ونوافر المعاني ، وسوانح الصور .

لايكذب ـ شأن الكثيرين ـ **لأنه يصف واقعاً** ألم به ، عاناه ، عاشه ، وحوادث انفعل بها .

لايسرق ـ كغيره ـ لانه غني بما عنده،واثق منه ، قانع به ، .. كرمه مليء بالعناقيد ، وجراره طافحة بالرحيق ، وبيدره مكتظ بالغلال . فكملت له ـ بذلك ـ وصيتان من « الوصايا العشر » ... لاتكذب .. لاتسرق .

لا يلتزم مذهب غيره في الاخراج ، والعرض والبداية ، والنهاية ، ولم ينهج منهجا مفروضا مدروسا ومخططا،في الاداء والتعبير.ولم يمدّ عينيه الى ما متعنا به من ازواج ، فتمت له الوصية الثالثة : لاتشته امرأة جارك ، ولا ثوره .

هذه القيود ، والمعالم « التكنيكية » في القصة الحديثة ، ليست ـ في رأيه ـ اغراضا تقصد لذاتها ـ كما هي الحال عند الكثيرين ـ وانما يرى بها ـ وحق ما يراه ـ انحرافا بالطبيعة السليمة عن خطها القويم ، وتزويرا لشخصية الاديب . وطمسا لمقوماته، ومميزاته .

ما الغرض مما نكتب ؟

أليس الامتاع ، وتحريك النوازع ، والاستثارة؟ فاذا يسر لنا ـ بوسائلنا الخاصة ـ الحصول على هذه الشروط الثلاثة ، فهل تبقى هنالك حاجة لكل هذه المقاييس . والمعايير ، وتعدد المذاهب ؟؟

ان الانسياق على ذيول الآخرين مضيعة للذات ، لا يبرره ، ولا يعتدّ به الا ذوو الشخصيات المهزوزة ، « الهلامية » .

لا يذوب بذات الآخرين ، ولا يندمج بها ، الا من اضاع شخصيته . وفقد قوامها ، أو من لم يستكمل شخصيته بعد .

الشخصية التي استكملت مقوماتها الفنية ، واستوثقت من قدرتها على الاستقلال الذاتي، تختطّ لنفسها منهجا ، وتعلن استقلالها ، وتصبح ـ بذاتها ـ منهجا مميزا .

واذن : ما المنهج الذي استنه نزار مؤيد العظم في « سلاسل الماضي » ؟

يقول أحد كبار النقاد : من الصعب ، والصعب جدا ، ان نكتب أدبا سهلا .

وأرى ان صاحب « سلاسل الماضي » ركب هذا المركب الصعب ، والصعب جدا وكتب أدبا سهلا .

فالبساطة،والسهولة،هما الصفتان اللتان امتاز بهما اسلوبه ـ مفردات وجملا ـ

والصدق والواقعية ، وعفوية الحوادث ، ومماثلة البيئة ، والطابع الذاتي ، واللون المحلي ، والتسلسل المنطقي .. الطبيعي ، هي الدعائم التي قام ، واقام

عليها صرح روايته .

ومبدأه : خذ نفسك – كما هي – واعطها للآخرين .

لاتضع على وجهك غلالة ، ولا صباغا ، وقف عاريا أمام الشمس .

اما « افتعال » الحوادث . وخلق « العقد » بغية الوصول الى « حلها » او بغية نقل القارىء من واقع هادىء ، الى دنيا مكذوبة ، قلقة ، كثيرة الالتواءآت ، والتهاويل .. كل ذلك ليس من غرضه ، ولا طبعه . ولا مذهبه .. انه زبد يذهب جفاء ، واما ماينفع الناس – الصدق – فيمكث في الارض .

الصدق مخيف .. مخيف جدا لبعض الناس لانه يكشف المثالب ، والمعايب ، ويجرد ويعري . فلا تعجبن اذا رأيت هؤلاء ينقمون على « سلاسل الماضي » ويعملون بها نهشا ، وهدما ، وتشنيعا واضعين ايديهم على أعينهم ، وفي آذانهم ، حذر الصواعق . لانهم يصدرون عن « نعامية » ورد فعل ، وانتكاس اثر في النفس .

السلبية المتطرفة ، نتيجة حتمية للايجابية المتناغمة مع واقع الاحداث ، تتأتى عنها ، وتماشيها ، ولكن على « الرصيف المقابل » .

جميل ان نكون في اعمالنا وسلوكيتنا طبيعيين ، نبدأ ، ونسير مرحلتنا ، وننتهي ، وفق ناموس الطبيعة ، لازيف ، ولا كلفة ، ولا ننطق عن هوى .

اما ان « نتعمد » المآسي ، و« نتقصد » هزة ذهن القارىء ، ومزيد ارتعاشه ، وزلزلة اعصابه – بلا مدعاة – فذلك ان دل على شيء ، فعلى رغبات كبيتة في نفوسنا المعقدة ، نحاول تصعيدها على حساب راحة القراء .

جميل هو الصدق ، وقبيحة هي « الكيشوتية » ، و « الحربائية » .

لماذا يطيب لبعضهم الهروب من الواقع ، وافتعال القلق ، وتضخيم الحوادث ، وتشويش النفوس ، وتحطيم الاعصاب ، واستيراد الحوادث المثيرة ليملأ حياة الآخرين قلقا وعنفا ، وارهاقا ؟

كل ذلك يتجاوزه كاتب « سلاسل الماضي » ولا يأبه له ، فيصور ، بثقة واطمئنان ، وارتياح ، واخلاص ، مرحلة من مراحل تاريخنا الحديث ببساطة ، وعفوية ، وصدق . فيبلغ الغاية المنشودة من العمل الادبي .

هناك سلاسل من العادات والتقاليد تنتظم تاريخنا القديم ، وتمتد جذورها –مع الاسف– الى حاضرنا .

هذه السلاسل – كما يطيب للكاتب ان يسميها – كم احكمت حول اعناق بريئة ، فلوتها . ولم تدعها تلتفت نحو النور .

وكم استدارت على أيد طاهرة ، فشدتها الى الاعناق ، والتفت على أرجل ، فتخاذلت ، ولم تكمل طريقها في رحلة التاريخ !!

هذه السلاسل ! حزت في عنق نزار مؤيد العظم – على ما اعتقد – وكبلت يديه ، وعضت برجليه ، فجاء يهوي عليها بضرباته حانقا ناقما يريد كسرها وتحطيمها وتفتيتها !

ان قصة هادفة جريئة ، واعية ، صادقة ، سهلة كسلاسل الماضي استكملت كل المقومات الفنية ، لتدفع بالمجتمع خطوات ومراحل في دروب الاصلاح ، وحركة تمتين بنائه الاجتماعي ، وتنقيته من امراضه المتأصلة ، واستئصالها .

انها تنتزع اثوابنا المهترئة ، البالية ، النتنة لتستبدل بها حللا اخاذة زاهية ، لا نخجل ان نقف بها امام التاريخ . وامام ابنائنا والاجيال الصاعدة .

قيل لاحد النقاد : لماذا لم يرتفع الادب العربي الى مستوى الاداب العالمية سيرورة وعطاء ، وبروز شخصية ؟؟ فأجاب : لانه لم يتوخ واقع امته ، ولم يهتم بخصائصها المحلية التي تميزه عن غيره ، فضاعت جنسيته ، فلم تعرف له هوية بين جنسيات اداب الامم الاخرى !!

وارى ان نزار مؤيد العظم تدارك هذا النقص في الادب العربي فاهتم بالطابع المحلي ، فأشخاصه يحيون بيننا ، وفي كل منا ، نلتقي بهم في غدواتنا ، وامامسينا ، في الشارع ، والمقهى ، والحقل ، ووراء المكتب ، وعلى مقاعد الدرس •

صورهم متمايزة لوحتها شمس سورية ، وتقاسيمهم واضحة ، عميقة الخطوط ، غنية الالوان ، مستكملة كل اسباب الحياة العربية •

و ••• الدقائق والجزئيات !!!

ونزار مؤيد العظم ينتزع اعجابك ، ويمتلك انتباهك بحرصه ، وقدرته على ابراز الدقائق والجزئيات في صوره ، والتدليل على مواقعها الخفية من خطوط الصورة ليكتمل لك المشهد،وتكتمل معه لذتك الطاغية •

انك لا تشعر بتشويه ، او نقص ، او مسخ بما يعرض عليك ، ••طبيعة فنية أصيلة تهدي الفنان الى الابداع ، والتسلل الى اعماق النفوس • وهذا مايعبر عنه « بالعقلية الباطنة » التي تدفع بمدركاتها الى العقل الواعي ، فيتسق جهد العقلين الباطني ، والواعي — ويتم التساوق بينهما ، فتأتي الصور مترفة غنية .

عرفنا شيئا من استقصاء هذه الدقائق في القديم، عند الجاحظ ، وابن الرومي ، وعند الصافي النجفي في العصر الحديث ، ولكننا لم نعرفها عند المتنبي — على ضخامته — ، ولا عند ابي تمام— على فخامته— ، ولا عند شوقي — على امارته — • في حين وجدناها عند كاتب « سلاسل الماضي » كأحسن ما تكون •

ألثابت لدينا من «أدب المقارنة» بين الآداب : ان الادب العربي لايهتم الا بالخطوط العريضة، والحوادث البارزة الضخمة بينما آداب الامم الاخرى تهتم وتعني بهذه الدقائق •

وهاتان الميزتان المتباينتان تميزان العقل السامي — والعرب ساميون — المأخوذ بالكليات ، والمجردات عن العقلية الآرية المأخوذة بالماديات واستقصاء الجزئيات .

فهل سلامة طبع نزار مؤيد العظم أهدته ليقوم بعملية « تطعيم » الادب العربي والعقلية السامية ، بخصائص الآداب الغربية والعقلية الآرية ؟ وليربط بين الخاصتين ويزاوج بينهما • ليتم من هذا الارتباط ، وهذا التزاوج لون جديد يعتبر كسبا كبيرا لادب العرب ، ودليلا على حيويته ، وقابليته ، وتفاعله مع الآداب العالمية ؟؟

ومهما يكن من الامر فان هذه الظاهرة التي انفرد بها صاحب « سلاسل الماضي » يجب ان ترصد ، وتراقب ، وتؤرخ كظاهرة أدبية جديدة ، ويعطى حق الاكتشاف « والامتياز » له •

هذا ، وانني وان كنت لم استطع الاحاطة بابعاد « سلاسل الماضي » ولم أوفها حقها من الدراسة والتحليل ، فانني تركت في ذهن القارىء حس انطلاق في جوها العام •

واني لأقف في الطريق — طريق المشتغلين بصناعة الحرف المقدس — مشيرا وقائلا : هنا — في بلادي — ولد اليوم أدب جديد •

رواية «سلاسل الماضي»

للاستاذ نزار مؤيد العظم

بقلم : عادل أبو شنب

قضايا أدبية عديدة •• تطرحها رواية « سلاسل الماضي » التي صدرت مؤخراً في دمشق للأديب الاستاذ نزار مؤيد العظم •

•• وقبل ان نعالج هذه القضايا ، نحب أن نرحب بالرواية ترحيباً حاراً ، لان أدبنا العربي في سورية •• فقير بهذا اللون من الأدب ، ومجرد التفكير باصدار رواية •• مغامرة غير مأمونة الجانب ، تتطلب مالا •• وتتطلب قراء ، والمال والقراء نادرا التعامل والاستغلال في سوق الكتب هذه الايام •

الهنة الرئيسية :

تقوم رواية « سلاسل الماضي » على عرض كفاح شاب من مدينة حماه في سبيل تحقيق طموحه والتغلب على متاعب يومية ، كما تقوم على عرض حكاية حب بين الشاب وفتاة من دين آخر ، ينتهي بالفشل •

وللوهلة الاولى •• سيبدو للقارىء عدم التوازن بين العرض الاول والعرض الثاني ، فظروف كفاح الشاب والتفاصيل المرتبطة بذلك •• لا علاقة لهما ، بل لاأثر على حكاية الحب • ان لكل عرض كيانا مستقلا في الرواية •

•• وتلك هي الهنة الرئيسية التي تطالع القارىء لدن قراءته الرواية ، أما القارىء الناقد فله آراء أخرى •

على أنه يحسن بنا عدم الدخول في التفاصيل ، اثناء عملية النقد هـذه ، والبقـاء على باب التعميم ومنـاقشة القضايا الادبيـة العديدة التي تطرحهـا الرواية •• لان أدبنا الروائي ، بسبب من ندرته ، يحتاج الى معالجات عامة ، مرتبطة بتاريخ الرواية في سورية ، وبالحركة الروائية المعاصرة في العالم •

هذه الرواية والتطور :

ترى •• ما الذي أضافته « سلاسل الماضي » الى رصيدنا الروائي ؟ وماهو التطور الذي جاء على يديها ؟

في أذهاننا تعلق روايـات الفترة الرومانتيكية : « قوس قزح » و « قدريلهو » للـدكتور شكيب الجـابري ، وغـيرهـا • وهي روايـات لرحلـة تسمت بتجريدها الاحداث ، فكأنها حدثت بمعزل عن البيئة وعن النفسية العامة للناس ، على أنها أدت دورها ، واستقطبت قراء ، وفي أذهاننـا الروايات القليلة التي قرأناها في السنوات الماضية : « مكاتيب الغرام » لحسيب الكيالي ، و « باسمة بين الدموع » للدكتور عبد السلام العجيلي ، و « أيام معـه » لكوليت سهيل ، وغيرها •• وهي تتفاوت في تناولها الاحداث ، بنسبة تفاوت نظرة كل من الادبـاء الى الحياة والنـاس • فالى أي فترة تنسب « سلاسل المـاضي » وما هو دورها ؟ وهـل طورت الرواية المحلية •• بحيث واكبت الركب الروائي العالمي ؟

الجواب على هذه الاسئلـة صعب سهل معا ، ويمكن للقارىء أن يستخلصه من نقدنا للرواية في السطور القادمة •

لغة « سلاسل الماضي » :

ولعل أول مايجب أن نتحدث عنه هو لغة الرواية • ان اللغة سليمة ، وقد يكون في هـذا مايدعو الى استهجان بعض الكتاب والنقاد ، ووصفهم لغة « سلاسل الماضي » بالتقعر ، لكنني اعتقد أن الاستاذ العظم قد أحسن استخدام لغته ، وان كان جاء بالغريب من الالفاظ ، وجعل يشرحها في نهايات الصفحات احيانا •

على أن هـذه اللغـة المتفاصحـة أربكت حوار الرواية •• فلقد كان أبطالها يتحادثون بنفس اللغة « المتقعرة » التي كتب بها السياق ، وهذا أمر يشير الى واحدة من القضايا تطرحها الرواية ، أو لنقل ، الروايات المحلية والعربية •• فهي لم تنته حتى الآن الى صيغة مناسبة للحوار ، وسط ضجة المطالبين بحوار يتماشى مع الكلام المحكي في الواقع ، والمطالبين بحوار فصيح ، بل ومقعر أيضا • من هنا قد يحلو حوارها للبعض ، وقد يجد فيه البعض الآخر تزمتا لغويا ••

التفاصيل :

شيء آخر •• نسوقه في تساؤل :

ـ أية تفاصيل ينبغي أن يستخـدم الروائي في عمله وأية تفاصيل يهمل ؟

ان التفاصيل اليومية كثيرة ، وكثرتها تمنحهـا بالضرورة ابتذالا ان هي استخدمت في القضيـة او الرواية دونما هدف ، فهي بذلك تضيع معالم الخط الدرامي للرواية بدلا عن اغنائه •

لقد كانت قضية التفاصيل الكثيرة التي تخبط خبط عشواء في الروايات ، محلية كانت ام عربية ، ام اجنبية ، كانت بالتأكيد السلاح الذي تنتحر به الرواية ، وعن حسن نية الروائي احيانا ، فهذا الكاتب المشحون فكره بتفاصيل غنية وصغيرة وكثيرة عن عملـه •• يضيع أحيانا في عملية الاختيار الصعبة : أية تفاصيل يبقي وأية تفاصيل يهمل ، وهو في اختياره تفاصيل معينة واهماله تفاصيل أخرى •• يكتب لعلمه النجاح أو الفشل من حيث المبـدأ ، وذلك لان استحضار التفاصيل في ذهن الروائي واختيار الصالح منها •• مهمتان تظـلان ناقصتين مالم تستخـدم التفاصيل المختارة في مواضعها الطبيعية بحيث يفيد منها الخط

الدرامي للرواية ، بحيث تكون التفاصيل اللحم الذي يكتنز من حول العظم ، يغنيه ويجمله •

بهذا السلاح انتحرت روايات وعاشت روايات • ونجيب محفوظ نفسه ، المشحون فكره بتفاصيل مذهلة وغنية ، وأحيانا جانبية ، كان من الممكن سقوط بعض رواياته لو لم يستخدم التفاصيل في مواضعها ، ولاغناء الفكرة العامة للرواية ، ولالقاء ظلال على شخصياتها ، ودستوفسكي •• الذي لا يجاريه كاتب في امتلائه بالتفاصيل ، نستطيع أن نحذف صفحات بكاملها من رواياته حشرت فيها تفاصيل جانبية ، واحيانا لا علاقة لها بالرواية ، حشرا مؤذيا •

ولقد وقع الروائي السوري الاستاذ العظم في امتحان التفاصيل الكثيرة ، ووقع في امتحان اختيارها، وفي امتحان وضع المختار منها في مواضع من الرواية تغنيها •• فكيف كانت النتيجة ؟

أين وكيف ولماذا :

من المؤسف القول ان عملية اختيار التفاصيل ووضعها في مواضعها •• كانا مقتل الرواية !

لقد اختار الاستاذ العظم تفاصيل أبعدت الرواية عن فكرتها العامة ، والشواهد كثيرة تملأ جميع الصفحات تقريبا ، فنحن نعرف في كل صفحة ماذا فعل البطل وأين وكيف ولماذا •• دون أن يكون لهذا الفعل مساس بالرواية ــ باستثناء كون بطله هو نفسه بطل الرواية ــ حتى ليمكن حذف الفعل وأين وكيف ولماذا •• دون أن يصيب السياق مكروه •

ان ملاحقة أبطال الرواية بمثل هذه الفوتوغرافية العجيبة تقودنا الى البحث عن الدور الذي كان من الممكن أن تلعبه رواية « سلاسل الماضي » في تطوير شكل الرواية في سورية بحيث ينسجم مع شكل الرواية في اماكن أخرى من بلاد العرب ، مصر مثلا ، ومع الاشكال الجديدة للرواية في اوروبا • فهذه الفوتوغرافية ذكرتنا بروايات الربع الاخير من القرن الماضي ، حيث الملاحقة العنيفة للشخصيات ، واحصاء أنفاسها ، ولو أننا عقدنا مقارنة بين « سلاسل الماضي» الصادرة عام ١٩٦٤ وبين « قوس قزح » الصادرة قبل ثلاثين سنة تقريبا لوجدنا في قوس قزح شكلا متطورا عن « سلاسل الماضي » !

والحديث عن مضمون الرواية كان يجب أن نفرد له بحثا خاصا ، لاهميته ، وقد نفعل ذلك في المستقبل، غير أنه ثمة ملاحظات عامة عاجلة نسوقها الآن ، بشكل نقاط :

* هناك تخلخل بين فكرتين كبيرتين تتجاذبان « الرواية » كما سبق وذكرنا •
* هناك خطابية في صفحات كثيرة جدا •
* ثمة نجاح ملحوظ في تصوير شخصية الشاب نبيل ، ولكن على حساب تصوير بقية شخصيات الرواية التي بدت باهتة •
* المرور على القضايا الوطنية هذا المرور الذي يفرضه الصدق الزمني والمرحلي •• لايعني ان الرواية تهتم بهذا اللون من القضايا أو أنها تحله بين جنباتها محلا كبيرا ، والواقع أنه كان من الممكن ألا تذكر القضايا الوطنية في الرواية •• دون أن يؤثر ذلك على أحداثها أو يخلخل من تسلسل الاحداث •

مرة أخرى •• نعود ، ورغم مايبدو في هذا النقد من قسوة ، لنرحب برواية « سلاسل الماضي » لاننا فقراء بالرواية ، ولان اصدارها وطبعها على نفقة صاحبها •• مغامرة تستحق الثناء ، والترحيب •

السمكة والبحار الزرق

بقلم : اسماعيل عامود

الحياة قصة طويلة •• تكاد تكون متشابهة الجوانب والاطراف ، متجانسة السمات والاغوار ، تتسكع على وتيرة واحدة من البداية الى النهاية •• وتعيش ــ ان صح التعبير ــ في أجواء واحدة على الارض تحت القبة الزرقاء •• وتشرب من الماء وتستنشق الهواء •• ثم تتحرك في أبعاد كونية واحدة فوق ماسماه الانسان بـ « الكرة الارضية » •••

بيد أن الحياة هذه قد تختلف ــ بالطبع ــ من

بيئة الى بيئة •• وبين اقليم واقليم •• لان المخلوقات التي تدب على الارض منذ الازل تتأثر ــ بلا شك ــ بالمناخ والجو قبل تأثرها بأي أشياء أخرى •• وما دامت الحالة هكذا ــ اذن ــ لا بد من وجود فوارق بين انسان هنا •• وانسان هناك •• بين المخلوق هذا •• وبين المخلوق ذاك •• لان مرافق التكوين التي مشت مع هذا ، هي غيرها حين سارت بذاك •• ولهذا، فالذين يجيدون كتابة قصة هذه الحياة المتناقضة والمختلفة الهوجاء ، في المكان والتكوين من البشر •• هم ــ عندي ــ الابطال الافذاذ •••

قليلون هم هؤلاء •• في بلدي الذي قطع من عمره الادبي أكثر من ربع قرن •• أجل قليلون هؤلاء الافذاذ من كتاب القصة •• عندنا •• ذلك لان الاجادة في كتابة القصة ، ان يستطيع الكاتب أن يعبر بثقافة ووعي وادراك عن حاله وما يدور في مجالها من تجارب انسانية حارة ، ومن معاناة ذاتية قاسية ، مفعمة بالاصالة والازلية الرائعة •• ذاتية •• لا تخرج الى جو الخيال الا من أجل تلوين هذه الذاتية وتلك التجارب ، لتظهر ربيعية الاجواء والاضواء ، سخية الصور والاشكال ، موفورة المشاعر في أحاسيس أدبية تتعالى عن المألوف من التهريجات والتعابير الفجة التي يسردها العوام ••

أقول هذا •• في القصة عندنا ، لانني أجد بأن أكثر الذين يمارسون هذا النوع من الادب •• يكادون يستجدون أفكاراً ليست من جماجمهم •• ويتأثرون بأماكن ليست هي من عالمهم في شيء •• يكتبون القصة دون معاناة للواقع الذي يعيشون •• ودون تجارب حية كائنة في عميق ذواتهم •• فكأن القصة عندهم موضوع انشاء في وصف نزهة على مشارف المدينة وراء التلال المخضوضرة السندسية ــ عفوا ــ المزركشة ••

لقد طلع علينا بعضهم ــ في هذه الآونة الفكرية المجدبة ــ بقصص ــ أوقل بمجموعات قصصية قميئة، رثة ، فقيرة المدارك ــ قرأناها ، فلم نجد فيها مايرفع الرأس •• مجموعات قصصية مبرقعة بعناوين مغرية رخوة •• تحتها الكلام الفارغ والوصف الرقيع •• مجموعات عناوينها ــ وقصصها أيضا ــ مأخوذة من هنا وهناك •• لتغري القارىء المسكين •• ولكن قارىء بلادي الحصيف الطيب سيكتشف بوعيه ، ضعف هذه المجموعات •• وضعف قصصها المبتسرة •• ويقذف بها الى الموقد •• الى الموقد •••

أجل •• قليلون هم الذين يعانون القصة في بلادي على انها أدب وتوجيه وحياة ومعاناة وتجارب ، وصراع •• وكفاح •• وعذاب ••• وقليل هو الجيد من القصص التي تنزل الساح الادبية في بلادي •••

لكن •• يبقى هذا القليل هو الكثير عندي •• و « عدنان الداعوق » كاتب القصة الجيد في بلدي الطيب •• يظل ــ وسيظل ــ من الاحرار الذين يريدون رفع مستوى القصة عندنا •• مع رعيلها الاول ، لأن القصة عند هذا الرعيل « أعتذر عن ذكر الاسماء لهذا الرعيل ، هنا ، لأسباب شخصية وحتى لايقال عني : مجحف فهاتوه وفي أسفل الحجيم أنزلوه •• » تعني كل شيء •• كل شيء في الحركة الادبية الطالعة •• تعني وجوده ، تجاربه ، أحواله ، بكل قوة وصدق وحرارة ••• وليست القصة عنده ــ عند هذا الرعيل ــ هي تلك الضبابة المفتعلة المكتظة بتعابير مقوقعة جافية •• وليست هي تلك المنزلقة في عتمة الشهوات المهومة في دروب المراهقة البدائية الحائرة •••

والقصة عند عدنان الداعوق حياة قائمة •• تعتمد على الجو المباشر الذي يحياه البطل ــ كل بطل ــ وعلى المبادهة والاتيان بحادثة معينة يحلل جوانبها ببراعة الفكر الثاقب ، ويضفي على أطرافها ظلالا شعورية تقوم أنت في كشف معالمها والتساؤل عن

مقصدها النفسي، هذا المقصد الذي يعانيه الانسان لدى سبره أغوار الحياة في كل ما ترمي عليه وفي كل ما تتناوله في حياتنا النفسية والمادية والروحية .. كل ذلك وعدنان الداعوق يظل في روعته دون ان يرغم نفسه على ولوج الدروب الملتوية الهلامية لتحقيق آمال أبطاله والكشف عن مصيرهم المحتوم .. هذا المصير الذي يريده عدنان مشرقا ينبع بالحيوية والاثارة والاستمرار ، لأن الهزيمة ليس لها أي مكان في قصصه التي في (السمكة والبحار الزرق ..)

يقول الدكتور عبد السلام العجيلي ـ وهو من كبار كتاب القصة عندنا ـ في مقدمة المجموعة ما معناه أن عدنان الداعوق أخذ المنهج الجديد في قصصه ، وأنه تخلى وتخلص من الكلاسيكية التي سادت معظم انتاجه في كتبه الصادرة ـ ذات الخال ، ستشرق الشمس زرقاء ، وحدة الحب ـ وأنا بالذات ـ مع الدكتور العجيلي ـ . الا أنني أشط عنه وانحرف قليلا في تحديد قصص عدنان في هذه المجموعة الجديدة ذلك لأن عدنان كان يعتمد على الحركة ـ الحادثة، أكثر من اعتماده على خلق الجو لها .. ففي قصته « القناع الاخير » وهي أول قصة في المجموعة كان عدنان الداعوق يسردالحركة ـ الحادثة فقط دون أن يتعمق في جوها الذي يجب أن يكون حارا مفعما باللون والضوء ... ومع ذلك فقد وفق جدا في أشخاصها ..

وفي قصة « الظفر والقبو المعتم » تعتمد أول ما تعتمد على أشياء من الشوق التي تسبق ـ عادة ـ معرفة الحادثة ـ الحركة .. وبعدها تكون الحادثة هي كل شيء في الموضوع .. الا أن عدنان في هذه القصة قد بعثر فعلا تسلسل الحركات لكنه وفق في هذه البعثرة توفيقا رائعا عندما تركنا تتساءل عن (ندى) عندما كان ظفرها يترك في غطاء الطاولة ثقبا واسعا كقبو عتيق معتم أقبية « سان جرمان » .

انه الشوق الحار من أجل الاكتناه المصير وبناء أبعاده .. للابحار فيها الى الضالة المنشودة ..

والحب في قصص المجموعة عند عدنان يكاد يكون من النوع الذي لايبالي بالتقاليد والقوانين .. ولذا فهو يجيد في أكثر المواقف تبرير هذه العلاقة الازلية بين الجنسين بأفكار وجودية انسانية خارقة ، وما هذا الجواب من (حسام) لحبيبته التي شعرت بأنها حامل منه في قصة (السمكة والبحار الزرق) :

ـ لاتخافي صلي لله أن يرسل لك ابنة جميلة لتسليك أيام غيبتي ..

الا التأكيد المبني على وعي انساني عريق .. وفي الوعي ادراك الحياة بكل آفاقها وقلقها ومباذلها وجمالاتها ...

كلمة أخيرة أقولها في المجموعة : أن عدنان الداعوق ، هذا الاديب الحر ، قدملناقصصابمستويات جيدة كان أبطالها يعانون حياتهم في انسانية وكآبة .. تلك الكآبة التي تغمر وجوهنا بالشحوبالانساني الخلاق .. انها ـ حقا ـ كآبة أحوال البشر .. في صراع عريق أزلي عميق بين اليأس والانتصار ، بين الخيبة والامل ، بين الكرامة والذل ، بين الطموح والفشل ...

وبعد ... هذا هو عدنان الداعوق القاص في تجاربه الفكرية .. ولكنني أستدرك فأقول :

ما أروع صديقي عدنان الداعوق لو كتب قصصا من وسطنا .. هذا الوسط الذي يعاني التجربة في أقسى مراحلها وأصعب نزعاتها ونزواتها .. تجربة المبادىءالسفلى ، والضياع..والفقر..والاضطرابات المعيشية .. والعدم الحتمي في شرقنا الباسل الذي تضيع امكانياته وثرواته الكلية بآراء المحنطين .. الذين هم أعتق من العتيق ...

ولعدنان تحياتي .. وامنياتي .. والى الامام ..

دمشق : اسماعيل عامود